المركيزة والرسام

قصة : دافنى دى مورييه

ترجمة : سمير وهبى

تمددت المركيزة على كرسى طويل (شيزلونج) فى البالكونة المطلة من غرفتها بالفندق • كانت تلبس كيمونا طويلا ولا شيء سواه ، بينما كان شعرها الذهبى الجميل ملفوفا بعمامة زرقاء يتفق لونها مع بريق عينيها الفاتحتين • وبالقرب منها على مسند خشبى كانت ثلاث زجاجات صغيرة بها ألوان مختلفة لأظافرها• كانت قد انتهت توا من دهن طبقة على أظافرها ، ثم فردت أصابعها لكى تحكم على اللون • ان بريق ظفر الابهام أكثر لمعانا من غيره •• كان يعطى أصابعها الرقيقة لمسة من لمسات الاغراء • انه يشبه نقطة دم سقطت حديثا من جرح • هذا بينما كان ظفر السبابة فاتحا •• ولكن جماله بدا صناعيا • أما الاصبع الثالث فكان بريقه مناسبا لجمالها اذ بدا كعيدان الريح الحمراء فى خفرها • كانت مثل هذا النبات الرطب وقد نما وسط النخيل الكثيف فى انتظار بزوغ الشمس لكى يقدم لها بتلاته المخضبة •

كان هذا اللون هو اللون الذى ارتاحت اليه ثم أمسكت بقطعة قطن ومررتها على الألوان المسؤدية فمسحتها ، ثم غمست فرشاتها ؟ فى الزجاجة المناسبة ودهنت بقية الأظافر فى حركات قصيرة وسريعة • وما انتهت من هذه العملية حتى ألقت ظهرها على الكرسى الطويل وجعلت تحرك يديها حتى تتيح للدهان أن يجف • كانت حركاتها أشبه شيء بحركات كاهنة فى معبد • ونظرت الى أصابع قدميها وقررت أن تدهنها أيضا ولكن ليس الآن • كان عليها أن ترتاح وأن ترتخى ، فقد كان الحر قاتلا لا يشجعها أن تترك مسند الكرسى وتنحنى الى الأمام ، حتى ولو كانت هذه الانحناءة لتجميل قدميها الرائعتين ، خاصة وانها تجد متسعا من الوقت فى يومها الطويل الذى تقضيه فى تكاسل وفى رتابة لا تتغير • وأغمضت المركيزة عينيها •

كانت الأصوات البعيدة تأتيها من الفندق ، كما لو أنها فى حلم • انها أصوات غير محددة ولذيذة ، تماما كحياتها فى هذا الفندق ، حيث تعيش الآن بعيدا عن عبودية البيت • ومن البالكون الذى يعلوها وصلها صوت شخص يجر كرسيا • ومن بعيد ، عند الساحة السفلية ، رأت الجرسونات يثبتون الشماسى ذات الألوان الزاهية فوق موائد الأكل • وكانت أوامر « **المتروديتيل** » تصل الى أذنها من غرفة الأكل • وفى الشقة الملاصقة لها كانت الخادمة تنظف الغرف واتتها أصوات أثاث ينقل من موضعه مصحوبة بصرير سرير يزاح • وخرج أحد الخدم ليكنس البالكون المجاور • واختلطت الأصوات بعضها ببعض ثم ساد الصمت • ولم يبق سوى هدير البحر وهو يمسح الرمال الساخنة •• ومن بعيد أتتها ضحكات الأطفال ومن بينهم أطفالها هى • وعلى الشرفة ، طلب أحد الرجال قهوة وتصاعد الى أنفها رائحة سيجار • وتنهدت المركيزة وارتمت يداها الجميلتان كما تتساقط زهرتان • ما أسعدها بتلك الغبطة التى تستشعرها الآن ! ولكن ليتها تدوم لمدة ساعة أخرى • كان ثمة شعور فى داخلها ينبئها بأن احساس الملل والفراغ سوف يأتيها قبل انقضاء ساعة ، حتى وهى الآن هنا حرة فى الأجازة •

وظهرت حولها نشلة وطارت برهة حول زجاجات الالوان ، ثم اختفت داخل الوردة التى قطفها أولادها وتركوها على المقعد المجاور • وخف طنينها بعد لحظة • وفتحت المركيزة عينيها ورأت النحلة وهى تحاول أن تخلص نفسها من بتلات الزهرة • وهامت النحلة لحظة قبل أن ترتفع فى الهواء وتطن ثانية • وبدأت البهجة تتبدد ، وأمسكت المركيزة برسالة ادوار ، زوجها ، وقد سقطت على الأرض •

« •• ولهذا تجدين يا عزيزتى أنه يستحيل تماما أن أحضر عندك •• عندى شواغل أريد أن أتمها هنا وانت تعلمين أنى لا أعتمد على أحد فى انجازها • وطبيعى أنى سوف أبذل جهدى لأحضر قبل نهاية الشهر لأعود بكم • وفى الانتظار أرجو أن تتمتعوا جميعا وأن ترتاحوا • انى أعلم أن هواء البحر مفيد لك • وبالأمس ذهبت لزيارة أمك ومادلين • وأعتقد أن القسيس العجوز •••• »

وتركت المركيزة الرسالة تسقط منها وعقدت ما بين حاجبيها • انها تجد دائما زوجها غارقا فى أعماله • فعنده الضيعة ، والغابات والعقارات ، وعنده رجال القانون الذين يتعامل معهم ، ثم الأسفار المفاجئة التى يقررها دائما على عجل • كل هذه الأسباب جعلت من ادوار زوجا لا يجد وقتا كافيا يخصصه لزوجته •

وقبل عقد الزواج أخبرها البعض أن المركيز رجل أعمال وكثير الشواغل وأنه رجل جاد فى نظرته لأمور الحياة المتباينة ، غير أنها لم تعر هذا الأمر انتباهها وقبلت الزواج به وهى تقول ‥ « ماذا فى الدنيا أحسن من زوج جاد ، وماذا أبهج من المعيشة فى قصر منيف أو فى ضيعة واسعة أو فى فندق خاص فى العاصمة ؟ فما أمتع أن يعيش الانسان فى عالم سحرى ومن حوله خدم مطيعون ينتظرون الأوامر ويقولون دائما فى ردهم « **نعم يا سيدى المركيز ، نعم يا سيدتى المركيزة !** » انه عالم ساحر بالنسبة لفتاة تنحدر من الطبقة الوسطى ، أبوها طبيب من مدينة ليون ، وأمها امرأة مريضة على الدوام ٠ واذا لم يظهر المركيز فى حياتها فجأة ، فلم يكن أمامها الا أن تتزوج مساعد والدها الشاب وأن تكافح معه طول حياتها فى بلدتها الصغيرة ٠

كان زواجا رومانسيا وان عارضته عائلة المركيز فى بدء الأمر ٠ ولكن المناقشات اختفت بسرعة لأن المركيز تجاوز الأربعين من العمر والعروس جميلة جمالا فاتنا ٠ وتزوجا وأنجبا طفلتين ٠ وعاش الجميع فى سعادة تامة ٠

ولكن رغم ذلك ، قامت المركيزة من كرسيها الطويل وتوجهت الى غرفة النوم وجلست أمام المرآة ٠ وفكت الدبابيس التى تربط شعرها ٠ وخلعت الكيمونو فى تكاسل ونظرت الى جسمها فى المرآة نظرة تأمل ٠ وتحسرت على حياتها وهى فتاة فقيرة فى بلدة ليون ‥ وتذكرت الضحكات والقفشات التى كانت تتبادلها مع صديقاتها ، والهمسات التى كانت تسمعها فى الشارع عندما ينظر اليها أحد المارة أو الأوراق المعطرة التى قد توضع فى يدها عندما كانت تخرج بصحبة صديقاتها لتتناول الطعام عند واحدة منهن !

أما الآن ، وهى مركيزة فلم يعد هناك شخص تقاسمه ضحكاتها أو أسرارها ، فالكل جادون والزيارات الكثيرة للقصر من أهل ادوار العديدين تشغل وقتها باستمرار ٠ أمه واخوته وأخواته وزوجات اخوته طول الشتاء يقيمون فى باريس ٠ الأشخاص لا يتغيرون وفى أحيان قليلة ، عندما يدعو ادوار أحد رجال الأعمال ، ويتجرأ هذا المدعو أمام جمالها الأخاذ فيزف لها كلمة اعجاب قبل أن ينحنى ليقبل أناملها ٠ ـ كانت حينئذ تنظر الى الضيف وتتخيل فى ذهنها أنه بطل مغامرة سرية تربطها به ‥ فترى نفسها هاربة اليه وقد ركبت سيارة أجرة أسرعت بها الى بيته ، ثم صعودها بالمصعد الى الشقة الصغيرة ، وأخيرا وقوفها على بابها وقرعها الجرس قبل أن تختفى فى غرفة مظلمة ! ولكن ما أن تنتهى الدعوة حتى يقوم الضيف وينصرف ، ثم تظل تقول لنفسها انه غير وسيم وأن أسنانه صناعية !

وظلت تمشط شعرها وتحاول أن تبتدع تسريحة جديدة ، كأن تضع مثلا شريطا من لون أظافرها ‥ ثم لبست رداءها الابيض وألقت بوشاح من التل الرقيق على كتفيها ، وظلت تفكر فى الأثر البديع الذى سوف يحدثه خروجها بهذا الشكل المغرى ، فعندما ستتكون فى الشرفة ومن خلفها ابنتاها ومعهما المربية الانجليزية وهن فى الطريق الى المائدة ، سوف يرفع الناس جميعا عيونهم نحوها ويتابعونها باهتمام ٠ وربما توقفت لحظة لتداعب خصلة من شعر احدى بنتيها أو تقرص الاخرى قرصة مليئة بعاطفة الأمومة وخفة الدلال ٠

ولكنها الآن ما زالت أمام مرآتها ٠ وفى عينيها ثورة مكتومة ٠ للنساء الأخريات عشاق ٠ كانت الاشاعات والهمسات تصل دائما الى مسامعها فى الحفلات التى يقيمها ادوار ، فتعرف أن الفضائح موجودة فى أوساط النبلاء الذين تنتمى الآن اليهم ٠كانت تسمع الى كلمات مثل « **يقولون ان** » ، أو « **هل تعلمون ان** » وسرعان ما تهتز الأكتاف بحركة عدم مبالاة ٠ وكان يحدث أحيانا فى حفلات الشاى أن تنصرف احدى المدعوات مبكرة ، قبل السادسة مساء ، وهى تقول انها مدعوة الى حفلة أخرى ٠ فكانت المركيزة تصحبها حتى باب القصر وتودعها بكلمات كلها أسف ولكن هذا لا يمنعها بأن تتخيل ضيفتها وقد ذهبت بعد عشرين دقيقة الى حيث ينتظرها عشيقها وترى بعين الخيال الكونتسة الصغيرة وقد سقطت عنها ملابسها !

وحتى « اليز » صديقتها فى المدرسة وهى الآن متزوجة ومقيمة فى ليون منذ ست سنوات ، لها عشيق ٠ وعندما تكتب اليها ، لا تسميه باسمه وانما تقول « صديقى » ٠ كانت تقابله مرتين فى الأسبوع، فى يومى الاثنين والخميس ، فتركت سيارته ويتريضان فى الريف ، حتى فى أيام الشتاء ، وكانت أليز

تكتب للمركيزة وتقول : تبدو لى مغامرتى شعبية بالنسبة اليك يا من تنتمين الى طبقة النبلاء ! كم أتخيل عدد المعجبين بك ! كم مغرم بك وقع أسـير حبك • حدثينى عن مغـامراتك • حدثينى عن باريس وعن حفلاتها ! ومن هو الشخص الذى وقع اختيارك عليه لهذا الموسم ؟ » •

كانت المركيزة ترد على رسائل صديقتها فى ابهام يثير التساؤل ، ولكن فى لباقة ودعابة ، وتصف لها بالتفصيل الرداء الذى لبسته فى تلك الحفلة أو تلك • غير أنها لم تكن تقول لها ان الحفلات كانت تنتهى فى منتصف الليل ، بعد أن تكون الدقائق قد مضت متثاقلة ، وأن كل ما تعرفه من باريس ، عاصمة النور والجمال ، لا يتجاوز تلك الزيارات التى تقضيها بالسيارة الى صانعى الملابس أو «الكوافير» وهى دائما بصحبة الأولاد ومربيتهم الانجليزية • أما عن حياتها كسيدة القصر ، فكان دائما فى استطاعتها أن تصف الغرف وعدد الزوار الكثيرين والطريق المزروع بالأشجار الباسقة والغابة التى تحيط بالقصر • ولكنها لم تكن تتحدث عن الأمطار التى تتساقط كل يوم ، حتى فى أيام الربيع ، ولا عن حرارة الجو الخانق عندما يأتى الصيف مبكرا ، فيلف بوحشته كل الضيعة بغلاف من الصمت القاتل •

ـ انى آسف يا سيدتى • كنت أظن أن سيدتى بالخارج !

واعتذر الخادم الذى دخل الغرفة دون أن يقرع بابها ، وانصرف والمقشة فى يده ولكن ليس قبل أن يلقى عليها نظرة فاحصة وهى عارية أمام المرآة • وكان لا يستطيع أن يجهل وجودها بالغرفة وهى التى كانت منذ لحظة فى الشرفة وقد رآها وهو فى الغرفة المجاورة • لقد لمحت فى نظرته شيئا من الأسف وقد امتزج بالاعجاب الصارخ ، كأن نظرته تقول : « انها جميلة ورغم ذلك وحيدة ! » •

لقد بدأ الطقس ينقلب ، اذ انقطع النسيم تماما • وانسابت حبات من العرق على جسمها الناعم • وفى بطء وتكاسل ، ارتدت الفستان الابيض وخرجت الى الشرفة ، بعد أن خبأت عينيها وراء نظارات شمسية • وبينما كانت تتكىء بيديها على الحاجز الخشبى للشرفة لسعتها السخونة المتصاعدة منه ، ووصلت الى أنفها رائحة دخان سيجارة آتية من بعيد • وشاهدت أحد الجرسونات يأتى بأكواب فيها شراب ويضعها على مائدة فى الشرفة الكبيرة ودخلت الى مسامعها أصوات آتية من تصادم زجاجتين ، صاحبتها ضحكة رجل وحديث سيدة •

ومر فى هـذا الوقت كلب كبير من النـوع الالزاسى • كان يمشى وكأنه يبحث عن مكان ظليل يهرب اليه من قيظ الصيف وشمسه الحارقة • ومن بعيد رأت المركيزة مجموعة من الشباب وقد لفحت الشمس وجوههم وأجسادهم العارية • كانوا يخرجون توا من البحر وجروا الى الشاطىء وهم يصرخون فى طلب شراب «المارتينى» كان يبدو أنهم أمريكيون • وبينما رمى الجميع حقائبهم على الكراسى أطل واحد منهم ينادى الكلب ، فرمقته المركيزة بنظرة فيها حقد ممزوج بالغيرة • كان الجميع يمرح فى حرية• يذهبون ويأتون ولا رقيب عليهم ، يركبون سيارة اذا شاءوا أو يذهبون مشيا على الأقدام • كان مرحهم فى الحياة ينفى كل خفاء ، لأن تصرفاتهم لم تكن تخفى لحظة واحدة من الانفعال ، ولم يعرفوا قط الوقوف وراء باب أغلق نصفه • وظلت المركيزة تفكر فى الحب • ونزعت وردة ووضعتها فى فتحة صدرها • كان يخيل اليها أن الحب شىء صامت ، شىء لطيف بعيد كل البعد عن الصخب والجلبة ، والضحكات المتعالية• كان الحب عندها أقرب الى الفضول الذى يغلفه الخـوف ، حتى اذا ما ذهب الخـوف حلت محله الثقة الجريئة ، انه لا يكون اتفاقا بين أصدقاء ، وانما عاطفة تنشأ بين مجهولين ••

وبدأ المصطافون يعودون واحدا بعد واحد الى الفندق ، وامتلأت الموائد جميعها • وأفرغت السـيارات الكبيرة حمولتها من الناس الذين أتوا لتناول الغداء ، واختلطوا مع نزلاء الفندق • وتصاعد الصخب من الموائد • وضحكات امتزجت برنين الزجاجات الفارغة والأكواب والأطباق • ووصلت الطفلتان ومن خلفهما المربية الانجليزية وشق الثلاثة طريقهم فى هذا الزحام كانت البنتان مثل عروستين جميلتين من عرائس الألعاب وقد ارتديتا ملابس جميلة • ولما اقتربوا من الشرفة العالية حركوا أيديهم لتحية أمهم :« **يا أماه • يا أماه** » • ومالت المركيزة الى الأمام • وكالمعتاد أثار هذا المشهد انتباه الجميع • ونظر أحد الأشخاص الى البنتين ، ثم الى الأم وابتسم • وابتسم رجل آخر وأشار الى أصدقائه اشارة جعلتهم يضحكون مثله • وهكذا تصاعدت من كل جانب اشارات الاعجاب ، ذلك الاعجاب الذى يبلغ ذروته كل يوم عندما تنزل المركيزة ، المركيزة الفاتنة ومن حولها ملاكاها الطاهران • هذا ما كانت تتمتع به فى كل يوم ، عندما تنزل

الى غرفة الطعام : موجة تسبيح وطوفان من الاعجاب ، ثم بعد ذلك النسيان الكامل ، لأن كل فرد ينصرف بعد الأكل الى النوم أو الى البحر أو الى لعب التنس • أما هي فتبقى جميلة ووحيدة معها أطفالها والمس كلاى الانجليزية •

وصاحت احدى البنتين : انظرى يا أماه لقد وجدت نجمة البحـــر هذه وسوف آخذها معى عندما نعود •

ـ لا • لا • انها لى أنا التى رأيتها أولا ••

وتشاجرت البنتان معا • وصاحت الأم بشدة : **سيلست ! هيلين ! كفوا عن هذه المشاجرة • انكما تجلبان لى الصداع •• »**

ـ هل سيدتى متعبة ؟ يجب أن تستريحى بعد الأكل ، فالحر قاس ••

تحدثت المس كلاى الى سيدتها فى أدب بالغ ، ثم غيرت لهجتها وهى تحدث البنتين : فى هـذا الحر المزعج ، سوف نرتاح جميعا عقب الأكل مباشرة •

وطافت فى ذهن المركيزة آراء غريبة عن الراحة • الراحة •• « أنا لا أفعل شيئا سوى الراحة ! ارتاحى يا عزيزتى ، فان وجهك يظهر عليه التعب • فى الشتاء كما فى الصيف ، لا تتغير الاسطوانة •• التى تسمعها من زوجها ، ومن المربية ، ومن أخوات زوجها • كانت حياتها تتلخص فى النهوض من النوم صباحا ، ثم الراحة فالراحة وأخيرا الراحة ! وبعد الظهر كانت أيضا ترتاح من الساعة الثـانية الى الرابعة !

وردت المركيزة على ملاحظة المس كلاى : « **أنا لست متعبة اليوم** » ثم غيرت لهجتها وهى التى تحدث المربية دائما برقة بالغة :

« سوف أذهب بعد الغداء الى البلد • سوف أذهب هناك للنزهة » •

ورفعت البنتان عيونهما فى دهشة واحتجت المس كلاى تقول :

ـ ان الحر شديد اليوم وسوف تتعبين نفسك بدون مبرر ، خاصة وان المحلات العامة تغلق فيما بين الواحدة والثالثة • فلماذا لا تنتظرين الى وقت غروب الشمس ، ويمكنك اذ ذاك أن تصحبى الاولاد بينما أظل أنا هنا أشطب بعض الاعمال المنزلية ! »

ولم تجب المركيزة ثم قامت توا الى غرفتها ، بينما ظل الباقون يتممون أكلهم ، لان سيلست الصغيرة بطيئة فى تناول الأكل • وفى غرفتها وقفت المركيزة أمام المرآة وأخرجت علب الزينة ورسمت شفتيها بالاحمر وعطرت حلمتى أذنيها •

ومن الغرفة المجاورة وصلت الى مسامعها صوت الأطفال والمس كلاى تحاول تنويمهم • وأخذت المركيزة حقيبتها المصنوعة من الرافيا المجدول وتركت محفظتها تنزلق فيها ورمت فيها لفة من لفف الأقلام • ثم مضت على أطراف قدميها أمام غرفة الأطفال ووصلت أخيرا الى الطريق المترب •

ومضت فى مشيتها والحصى الصغير يدخل فى حذائها ذى الجـــوانب المفتوحة فيؤلمها ، بينما كانت الشمس تلسع رأسها • وتبين لها أن ما كانت تظنه عملا جديدا وأصيلا لا قيمة له ولا معنى له ، بل هو سخيف • كان الطريق خاليا ، والشاطىء مهجورا لأن المصطافين الذين كانوا يملأونه ضجة هرعـــوا الى بيوتهم ليصيبوا قدرا من الراحة •

ولما وصلت الى المدينة تحققت نبوءة المس كلاى ، فقد كانت المحلات جميعها مغلقة ، لان ساعات الراحة كانت مقدسة وتسود على سكان القرية الصغيرة • وظلت المركيزة تخطر وحدها فى الشارع الكبير وفى يدها حقيبتها التى تحركها على نغمة خطواتها المتكاسلة • ومن بعيد بدا المقهى خاليا الا من كلب صغير ارتمى على الارض مغمض العينين ، ومن حين لآخر يحرك ذيله ليطرد الذباب • كان الذباب كثيـرا فى كل مكان • رأته فى واجهة الصيدلية وهو يتزاحم حـــول قنانى الدواء والزيوت الشمسيـة وأدوات الزينة • ورأته أيضا يتراقص حول النظارات الشـمسية وعرائس الأطفال والأحــذية الصيفية المجدولة بالحبال • وأنه أيضا عند الجزار يسبح فى الدماء ويلطخ ما حوله باللون الأحمر •

وسمعت المركيزة صوت راديو يزعق فجأة ثم يصمت ، حتى مكتب البريد كان مغلقا • ظنت المركيزة أن فى امكانها أن تضيع بضع دقائق فى شراء طوابع • وعالجت أكرة الباب فلم تنفتح !

وبدأ العرق ينساب تحت ردائها ٠٠ وابتلت قدماها وهما فى الصندل الفاتن ٠ كانت الشمس ساطعة والجو ساخنا ٠٠ وفجأة أحست برغبة شديدة تجذبها الى البحث عن مكان ظليل ، مكان يكون رطبا وبعيدا عن هذا اللهيب المشتعل ٠٠ كانت تحلم بمكان هادىء منعزل ٠٠ تكون فيه مثلا حنفية ماء يتساقط منها على صورة خيط رفيع فتبلل قدميها أو ترطب يديها ٠٠ ولكن أين ؟ وأصابها ما يشبه اليأس حتى كادت الدموع تطفر من عينيها ٠٠ واستدارت على عقبيها ورأت حارة مسدودة على كل ناحية منها دكان ٠ ونزلت السلالم التى قادتها الى حوش صغير معتم ٠ ووقفت برهة وقد أراحت رأسها على الجدار الرطب ٠ وفجأة ، فتح مصراع خشب وأطل منه رأس ٠ وارتبكت المركيزة وقالت على سبيل الاعتذار وقد شعرت بأنها جاءت تتجسس على أناس يعيشون فى البدرومات :

ـ أنا آسفة ٠٠

غير أنها صمتت ، لأن الوجه الذى ظهر كان جميلا وسمحا ٠ كان يمكن أن يكون وجه قديس كرسوم القديسين على نوافذ الكنائس البديعة ٠ شعر مجدول يحيط بوجه برىء له أنف دقيق وعينان كعينى الغزال٠ وسمعته يقول :

ـ **هل سيدتى المركيزة تريد شيئا ؟**

وسرها أن عرفها ٠ وأسرها صوته الجميل الذى يكشف عن شخص مثقف ويتجاوب مع عيون صاحبه الشبيهة بعينى الغزال ٠

وردت عليه فى أدب :

« **ان الطقس حار ، والمحلات جميعها مغلقة ٠ لقد شعرت بتعب ٠٠ وأنا آسفة لأنى اقتحمت هذا الفناء الخاص ٠٠** »

واختفى الوجه من النافذة لأن صاحبه جرى يفتح بابا لم تتبين السيدة مكانه ٠ وبعد قليل كانت جالسة على كرسى على مدخل غرفة مظلمة ورطبة ٠ ورأت فى يديه وعاء كبيرا به ماء ، وقالت له : « **شكرا لك ٠ شكرا لك** » ٠

ورفعت عينيها نحوه وشاهدت الخشوع الذى ينبثق من وجهه وهو ينظر اليها فى تعبد ويقول فى صوت يفيض رقة :

ـ **هل أستطيع أن افعل شيئا لسيدتى ؟**

وهزت رأسها بالنفى ، بينما كان قلبها يركض سرورا ، لأن معجبا نظر اليها وعرفها منذ اللحظة الأولى التى التقت به وهو يفتح المصراع الخشبى لنافذته ٠ وامتدت يدها الى الوشاح الذى يغطى كتفيها وضمته ، بينما سقطت عينا الغزال على الوردة التى أطلت من صدرها الرائع ٠ وسألته المركيزة :

كيف عرفت شخصيتى ؟

ـ **لقد حضرت الى دكانى منذ ثلاثة أيام ٠ وكان أولادك معك واشتريتم أفلاما للتصوير ٠ ٠**

ونظرت اليه بدهشة ٠ لقد تذكرت فعلا انها اشترت أفلاما منذ ثلاثة أيام من حانوت صغير زينه صاحبه بلافتات كبيرة تحمل اسم « كوداك » ٠ وتذكرت أيضا أن بالمحل سيدة دميمة وعرجاء ولم ترد أن يرى أولادها عاهة السيدة فيسخروا منها ، وقد تفلت منها ضحكة ، فطلبت مشترياتها بسرعة وأمرت بأن ترسل الى الفندق ٠

ـ **انها أختى التى باعت لك فقد كنت فى نهاية الحانوت لأنى أترك مهمة خدمة الزبائن لأختى ٠ أنا مصور أقوم بتصوير الناس والمناظر فى الريف ، ثم نبيع المناظر للمصيفين ٠**

ـ **نعم ٠٠ لقد فهمت !**

وشربت بعض الماء ، كما شربت أيضا الاعجاب الذى كان ينبثق من عينى الشاب ٠

وأخرجت لفة صغيرة من حقيبتها وقالت : « لقد أتيت بفيلم أريد تحميضه ٠٠ هلا طبعت لى منه صورا ؟

ـ **بالتأكيد ٠ سأفعل أى شىء تطلبه منى سيدتى المركيزة ٠ منذ اليوم الذى جئت فيه الى المحل وأنا ٠٠٠ »**

وجمد الكلام على لسانه بينما اشتعل وجهه احمرارا ، ثم أدار وجهه ارتباكا • وكتمت المركيزة ضحكة بدأت ترتسم على محياها الملائكى • كانت تظن أن هذا الاعجاب الزائد سخيف ، لكنها رغم ذلك شعرت بأنه يعطيها احساسا قويا بالسلطان والسيطرة • ثم قالت له :

« وماذا حدث لك منذ اليوم الذى جئت فيه الى محلك ؟ »

ونظر الفتى اليها ثانية وقال : « وأنا لا أفكر فى شئ سواك ، لا شئ غيرك أنت • » قال كلامه فى ايمان عنيف أفزعها • وابتسمت المرأة وناولته الاناء وهى تقول : « انى امرأة عادية جدا • واذا عرفتنى جيدا سوف يخيب ظنك • »

وظلت تفكر فيما حدث لها وفى قوة سيطرتها على الموقف • لم تشعر بأقل اهانة أو ضيق وهى الآن فى بدروم تتحدث مع مصور لا شأن له ويصارحها بشديد اعجابه • هذه أمور مضحكة فعلا • » مسكين هذا الرجل لأنه يتحدث بلهجة جادة ، وكأنه يعتقد فى صدق ما يقوله ! » ثم قالت تحدثه :

ـ « هل ستأخذ الفيلم لتحميضه ؟ »

ولم يستطع الفتى أن يرفع نظره عنها ، وبدورها نظرت اليه فى جرأة حتى خفض عينيه عنها بعد أن صعد الدم فى رأسه • وقال لها : « **اذا عدت من نفس الطريق فتحت المحل من أجلك** » •

وكانت هى تنظر اليه الآن الى صدره العارى وشعره المجدول • وسألته : « **ألا يمكننى أن أترك لك الفيلم هنا ؟** »

ـ لا • فسيكون قبولى له حسب الأصول المرعية • واستدارت على عقبيها وصعدت درجات السلم حتى وصلت الى الشارع الملتهب بحرارة الشمس ، وانتظرت على الطوار حتى سمعت صوت المفتاح يدور فى باب المحل • وعن قصد انتظرت فترة فى الطريق قبل أن تخطو داخل الدكان ، الذى بدأ هواؤه ثقيلا وحارا بالنسبة للبدروم الرطب • ورأت الشاب خلف حاجز البيع وقد لبس قميصا أزرق ، فاشمأزت من منظره اذ بدا لها كبائع حقير لا شأن له • وسألته :

ـ « ومتى ستكون الصور جاهزة ؟ »

وتأملها طويلا من جديد وهو يرد على سؤالها : « **غدا** » وفى تلك اللحظة لم تره السيدة بقميصه الأزرق ، وانما شاهدت فى حياتها بصدره العارى ، وقالت له : **مادمت مصورا ، أود أن أطلب اليك أن تحضر الى الفندق لتصورنى أنا وأولادى** •

ـ حقا ؟

ـ نعم •

وشعر الفتى بوميض خفى هز كيانه ، وحنى قامته تحت الحاجز الخشبى متظاهرا بأنه يفتش عن قطعة من الدوبارة • ورأت السيدة يديه ترتجفان وانه مضطرب كل الاضطراب وان قلبه يخفق بشدة • وسمعته يقول :

ـ سوف آتى الفندق فى الموعد الذى تريدين •

ـ الأفضل أن يكون ذلك فى الصباح ، حول الساعة الحادية عشرة • »

وخرجت فى تكاسل من الحانوت دون أن تودعه ، واجتازت الطريق ولما نظرت فى زجاج المحل المقابل لمحله ، رأت خياله قد اقترب من الباب بعد أن خلع قميصه •

وصار المحل مغلقا لأن فترة الراحة لم تنته بعد ، ولاحظت للمرة الاولى أنه يعرج مثل أخته ، كانت قدمه اليمنى فى حذاء له نعل سميك ، غير أن عاهته لم تزعجها ولم تعطها رغبة فى السخرية كما حدث لها مع أخته • بل بالعكس كانت هذه القدم القصيرة تؤثر على كيانها تأثيرا خلابا لم تعرفه من قبل •

وفى صباح الغد وفى تمام الساعة الحادية عشرة ، أخبر موظف الفندق خادمة الغرفة أن السيد «بول» المصور ينتظر أوامر المركيزة • ونزلت الخادمة تخبره بأن سيدتها تطلب من السيد بول أن يتكرم بالصعود الى جناحها الخاص • وبعد برهة ، سمعت طرقا مؤدبا على الباب •

ـ أدخل ••

كانت المركيزة واقفة بين ابنتيها وكان الثلاثة يكونون مشهدا رائعا • كانت السيدة ترتدى اليوم رداء من الصوف اللامع وقد عقصت شعرها بطريقة تختلف عن تسريحة الأمس التى كانت تظهرها كفتاة ذات

جديلتين مربوطتين بشريط • أما اليوم فقد رفعت شعرها الى أعلى بعد أن فرقته من النصف وشدته الى **الخلف** ، فظهرت أذناها الصغيرتان وقد تدلى من كل منهما قرط براق •

ووقف المصور لحظة على الباب دون أن يتحرك • أما الطفلتان ظلتا مؤدبتين ، تنظران فى صمت الى قدمه القصيرة بشىء من الاستغراب ولكنهما لم تتحدثا ، لأن الأم أنذرتهما قبل مجيئه •

وقدمت المركيزة ابنتيها وهى تقول : **والآن قل لنا اين يجب ان نجلس وكيف ؟**

ولم تنحنيا البنتان احتراما كما تعودتا أن تفعلا أمام الضيوف ، وذلك لأن الأم قالت لهما ان هذا الترحيب ليس ضروريا ، لأن المسيو بول مصور يعمل فى حانوت البلدة •

ـ يا سيدتى • كم احب ان اصوركن جميعا وانتن فى مكانكن • انه وضع طبيعى فيه انسجام •

ـ كما تريد • ياهيلين قفى ولا تتحركى •

ـ ارجوكن الانتظار حتى أجرى ضبط العدسات •

وذهب انفعاله لأنه كان منهمكا فى اعداد الآلات وضبط الآلات . ونظرت المركيزة اليه وهو مستغرق فى تركيب الحامل المثلث وشد الستارة السوداء ولاحظت أن يديه دقيقتان وناعمتان . لم تكونا يدى عامل يدوى ، ولا يدى بائع فى حانوت .. كانت يدا فنان أصيل . ووقعت عيناها على قدمه القصيرة ، ولكنها لم تشمئز منها ، فقد كانت عاهتها أقل شدة من عاهة أخته . كان يجر قدمه ببطء ، فأثار شفقتها عليه ، وقد تخليت أنه يتألم منها خاصة فى الطقس الحار عندما يضطر دائما الى سحبها خلفه .

ــ والآن استعدى يا سيدتى .

ورفعت المركيزة نظرها من قدمه وقد خنقها شعور بالاثم ، ثم أخذت جلستها بطريقة طبيعية وضمت البنتين نحوها بساعديها بعد أن رسمت ابتسامة خلابة على شفتيها .

ونظر بعينيه البنيتين اليها . كان صوته منخفضا وحنونا . وكما حدث بالأمس ، غمرت السعادة قلبه وداس على مفتاح آلة التصوير . وطلب أن يصورها مرة ثانية . وأحست أنه عندما كان يتوقف قبل أن يدوس على مفتاح التصوير ، فليس لضبط العدسات كما يدعى ، وانما لأنه كان لا يستطيع أن يرفع نظره عنها .

ثم أخذ صورا فى الشرفة وفى الغرفة . وبعد نصف ساعة اشتد ضجيج الأطفال ، فاعتذرت وقالت : « ان الدنيا حر » ثم نادت هيلين وسيلست وقالت لهما : « خذا لعبكما وابتعدا فى نهاية الشرفة ! » وجرت البنتان الى داخل الشرفة . وتركت المركيزة المصور وحده بينما كان منهمكا فى ملء آلته بأفلام جديدة . ولما عادت اعتذرت قائلة : أنت تعرف .. ان الأطفال هكذا .. انهم لا يعرفون ماذا يريدون .. وانت يا مسيو بول كنت معهم صبورا جدا . »

ثم قامت وقطفت وردة من الشرفة وأحاطتهما بيديها فى رفق بالغ .

ولما رآها المصور ، سألها فى حرارة : « أود أن أسألك .. اذا سمحت لى ، أن أصورك صورة وانت وحدك بدون الأطفال ..

فسألته : **ماذا تريد على وجه التحديد ؟**

ــ أريد أن تسمحى لى بأن أصورك صورة أو اثنتين ، وأنت وحدك .. بدون الاولاد ..

ــ نعم .. بلا شك .. فليس عندى ما أفعله الآن !

واستلقت على الكرسى الطويل واستندت على مخدات بينما ارتكزت برأسها على ساعدها .

وسألته : **أهكذا تريدنى ؟**

واختبأ وراء الستارة السوداء ثم مكث يضبط الآلة ، واقترب منها وهو يعرج : « **اذا سمحت ، ارفعى يدك قليلا ، واخفضى رأسك قليلا ..**

ثم أمسك يدها ووضعها فى الموضع المناسب ، ثم قرب أصابعه فى خجل من ذقنها ورفع رأسها فى رفق ، وأغمضت المركيزة عينيها ولكنه لم يرفع يده عنها . وبدون أن يدرى ، انزلقت أصابعه على بشرتها وجرت خفيفة على عنقها . مضت أصابعه كحفيف خفيف ، مثل لمسة العصفور الرقيق .

وقال لها : **نعم هكذا ..**

ورفعت المركيزة عينيها نحوه ، ورأته يعود الى آلته . ولم تتعب بسرعة كما فعل الأطفال . وسمحت لبول أن يصورها مرة ، ومرة ثانية ، ومرة ثالثة ، وعادت البنتان تصخبان ثانية ومكثتا تلعبان فى الشرفة فى ضجة خلقت ألفة بين الشخصين الآخرين . وكبرت الثقة فى نفسه وبدا يقترح عليها أوضاعا قبلتها بارتياح تام ، وفى مرة أو مرتين لم يعجبه رسمها واقترب منها ليصححه ، **ليس هكذا . لا .. اقتربى ..**

وكان اذ ذاك يقترب منها ويركع أمامها ويبعد قدمها قليلا أو يلمس كتفها ، كانت كل لمسة منه أجرأ من سابقتها وأصبحت يده أكثر جراءة وأصابعه أكثر اقداما . ولكنها عندما كانت تريد أن تجبر نظره أن يقابل نظرها ، كان يخفض عينيه فى حياء وكأنه يخجل مما فعل ، هكذا بينما كانت عيناه مليئتين برقة بالغة لا تؤيد مطلقا جراءة يديه . كانت المركيزة تشعر بالصراع الذى يطحنه طحنا وتسر من جراء ذلك سرورا داخليا . ولما أصلحت من ردائها للمرة الثانية ، تبين لها أن وجهها أصفر وأن حبات العرق تملؤه . فقالت : **ان الحر لا يطاق . لقد اخذت لى صورا كثيرة اليوم !**

ــ كما تشائين يا سيدتى . ان الحر فعلا شديد ويحسن أن نتوقف ..

ثم قامت فى خفة . لم تكن تشعر بأى اضطراب أو تعب . كانت على العكس مليئة بقوة جديدة لم تعرفها من قبل . وفكرت فى الذهاب بعد الغذاء مباشرة الى البحر لتستحم . غير أن الأمر لم يكن هكذا بالنسبة للمصور ، فقد كان متعبا تخر حبات العرق من جبهته ويجر قدمه فى بطء شديد . كان يبدو أنه متعب . ثم تشاغلت المركيزة عنه بالنظر الى الصور التى طبعها لها من فيلم الأمس وقالت : هــذه الصور ليست متقنة . كان يجب أن أتعلم هذا الفن .. هل يمكنك أن تعطينى دروسا ؟

ـ أن ما ينقصك هو بعض التمرين . عندما بدأت الاحتراف ، كانت عندى آلة مثل التى عندك ، وحتى الآن أستعين بها لتصوير المناظر الخارجية . انى أنجح بها مثل نجاحى بآلة كبيرة .

ثم وضعت الصور جانبا لأن المصور كان مستعدا للذهاب فسألته :

« انك مشغول ونحن فى وسط الموسم الآن . فمتى تجد الوقت الكافى لكى تصــور المنــاظر الخارجية ؟

ـ انى أجده يا سيدتى ، بل أحب التصوير الخارجى أكثر من تصوير الاستديو ، وأحب تصــوير الطبيعة أكثر من تصوير الناس . وقلما تعرض لى فرصة بهيجة كاليوم مثلا ..

ونظرت اليه وقرأت فى عينيه معانى التواضع وحرارة الاخلاص . وأمعنت فى النظر اليه حتى خفض عينيه وهو مضطرب .

قال لها : ان المنظر جميل من الشاطىء .. ولا شك انك شاهدته فى نزهاتك . انى فى كل يوم بعد الظهر آخذ آلتى الصغيرة وأذهب الى هناك فوق المرتفعات على يمين الشاطىء

ومن الشرفة أشار بأصبعه نحو المكان ، وتابعت بنظرها اشارته . كان المرتفع هنــاك يبدو لامعا من بعيد ..

وأكمل الفتى حديثه : يوم جئت فى البــدروم كنت مصــادفة هناك ، لأنه كان لزاما على أن أطبع صورا لسياح كانوا على وشك السفر . غير أن المعتاد ن أكون على الشاطىء فى تلك الساعة .

ـ ولكن هناك الطقس حار ؟ أليس كذلك ؟

ـ ربما . ولكن الريح جميلة على المرتفع . وفيما بين الساعة الواحدة والرابعة ، يكون الناس فى راحة ، فلا أحد هناك وينتابنى شعور بأن تلك المناظر الجميلة ملكى أنا وحدى !

ـ نعم . انى أفهمك .

وظل الصمت بينهما برهة . كان شيئا بينهما لا يعرفان التعبير عنه . كانت المركيزة تعبث بمنديل من الدنتيلا فى يدها فعقدته حول معصمها فى تكاسل وبطء . وقطعت الصمت بقولها: يجب أن أحاول الذهاب مرة فى هذا الحر القاسى .

وفى هذه اللحظة حضرت المس كلاى الى الشرفة لتطلب من الطفلتين أن تغتسلا قبل الذهاب الى المائدة. وانسحب المصور وهو يستأذن للانصراف فى احترام . وألقت المركيزة نظرة الى ساعتها فوجدت أن الساعة جاوزت الظهر ، ولاحظت ان الموائد قد بدأت تمتلىء بالناس وجاءت الأصوات المعهودة من الشرفة الســفلى بما فيها من دمدمة الناس وصــوت الاطباق مثل كل اليوم وكانت ألم تلاحظ كل هذا الصخب منــذ دقائق .

وصرفت المصور ببرود وعدم مبالاة ، فقد انتهت الجلسة وجاءت مس كلاى تأخذ البنتين . وشكرته قائلة :

اشكرك . سوف أمر بعد أيام على المحل لارى تجارب الصور قبل طباعتها . فوداعا الآن .

وانحنى وخرج كموظف أدى عمله على وجه تام . وعقبت المس كلاى : أرجو أن يكون قد نجح فى تصوير سيدتى . ان سيدى المركيز سيكون مسرورا أن يتلقى بعضا منها .

ولم تجب المركيزة على ملاحظتها ، وانما تشاغلت فى خلع القرط الذى بدا فجأة لسبب غير معــلوم غير ملائم لمزاجها الحالى . سوف تذهب الى مائدة الطعام اليوم دون حلى . وحتى دون خاتم . فاليوم ، جمالها وحده يكفى .

ومضت ثلاثة أيام دون أن تذهب المركيزة الى البلدة الصغيرة . ففى اليوم الاول ذهبت الى الشاطىء .

وقضت بعد الظهر فى مشاهدة مباراة للتنس • وقضت اليوم الثانى مع ابنتيها لأن سمحت للمس كلاى باجازة قصيرة تزور فيها القلاع المحصنة المحيطة بالبلدة على طول الشاطىء • أما اليوم الثالث ، فقد طلبت من المس كلاى وبنتيها الذهاب الى محل التصوير لاحضار تجارب الصور • وجئن بها مربوطة فى لفة أنيقة• وفحصتها المركيزة ووجدت الصور رائعة ، خاصة تلك الصور التى ظهرت فيها منفردة • وتحققت بان تلك الصور ليست رائعة فقط ، وانما هى فى الواقع أجمل الصور الشخصية التى تملكها على الاطلاق •

وكانت المس كلاى فى غاية السعادة وقد طلبت من سيدتها أن تعطيها صـــورة ترسلها الى اهلها بانجلترا • وكانت لا تفتأ تقول لها : من كان يصدق أن مصورا حقيرا مثله يصور تلك الصور الرائعة ؟ اذا كانت هذه الصور أخذت فى باريس لكلفتك مبلغا ضخما •

وردت عليها المركيزة وهى تتثاءب : ليست الصور سيئة ! ان التى أنا فيها منفردة أحسن من الصور الاخرى !

ثم لفت الصور فى ربطتها الأصلية وخبأتها فى الدرج • وسألت المربية : **هل كان المســيو بول** سعيدا ؟

وردت المس كلاى : « **انه لم يذكر شيئا • ولكنه كان يبدو حزينا لأنك لم تحضرى بنفسك • وقال ان الصور جاهزة منذ الأمس • وسأل اذا كنت فى صحة جيدة ، ورد الاطفال عليه بانك ذهبت الى الشاطىء للاستجمام •**

وردت المركيزة : **ان الطقس حار فى البلدة ، هذا فضلا عن التراب الذى أضيق به •**

وفى اليوم التالى ، بينما كانت البنتان والمس كلاى يسترحن ، تسللت المركيزة على أطراف أصابعها بعد أن لبست رداء قصيرا •• ثم تركت غرفتها وقد علقت آلة التصوير على كتفها واتجهت نحو الشاطىء • كانت الشمس لاسعة ولكنها لم تعبأ كثيرا بلهيبها ، وسرعان ما وصلت الى الطريق الضيق الذى يقود الى المرتفع • كانت النباتات السرخسية الرطبة تصل الى ساقيها العاريتين ، فتشعر بلذة مبهمة • كانت المركيزة تمشى فى بطء بطريقتها المعهودة ولا تشعر مطلقا بأنها متعبة أو قلقة • وسرعان ما أشرفت على الطريق الذى يطل على الصخور • كانت وحيدة فى المكان ، وعلى بعد بدت لها صفوف الكباين الخشبية ، كمكعبات الاطفال التى يلعبون بها ، وكان البحر هادئا حوله • وحتى هنا حيث الماء يداعب الصخور فى رفق لم يكن ثمة موج اطلاقا •

وفجأة شعرت المركيزة بوميض خاطف • ولكنها لم تهتم كثيرا بالأمر • ثم دارت على عقبيها واهتمت بآلتها الفوتوغرافية وجهزتها للتصوير ، وصورت المنظر الذى أمامها ، ثم منظرا آخر •

وسمعت من خلفها حفيف أشجار • والتفتت الى الصوت ثم صاحت فى دهشة :

ــ أهذا أنت يا بول ؟

لم يكن يلبس قميصه الأزرق ، كان يرتدى قميصا مفتوحا •• اذ كان الوقت ما زال فى فترة الراحة• كانت خصلات ترسم هالة حول قسمات وجهه الرفيعة • أما عيناه فقد كان لهما بريق ساحر جعلها لا تستطيع أن تتجاهلهما • وقالت له وهى تبتسم : **انظر لقد اتبعت نصيحتك وجئت الى هنا لأمتع نظرى بالمناظر الخلابة • ولكن لا أدرى اذا كنت أستخدمها جيدا • فهل أرشدتنى ؟**

واقترب منها وأمسك بالآلة ويديها ليضعهما فى الوضع السليم •

وشكرته المركيزة ، غير انها ابتعدت لأنها شعرت بقلبها يدق فى عنف ، وكانت لا تستطيع أن تتحكم فى عواطفها المشبوبة •

وسألته : **هل معك آلتك ؟**

ــ نعم • يا سيدتى • لقد تركتها فى مخبأ هناك • انه مكانى المفضل •• ويقع على حافة المنحدر • فى الربيع آتى الى هناك لمشاهدة العصافير وتصويرها •

وسألته : **ألا ترينى هذا المكان ؟**

وسبقها وقد شق طريقه بين الحشائش الوحشية حتى وصل الى رأس المنحدر • كان هناك مخبأ أشبه شىء بعش موجود فى حضن الأحراش • كانت الفتحة الوحيدة فى هذا المخبأ تطل على المنحدر الوعر الذى يصل الى صخور البحر • وأبعدت بيديها الحشائش العالية لتدخل المخبأ السرى والتفتت حولها وهى تضحك

فى سرور بالغ • ثم جلست الى الارض بكل بساطة كما يفعل الاطفال فى الرحلات • وأمسكت بالكتاب المهمل فوق آلة التصوير بالقرب من سترته •• وسألته :

– **هل تقرأ كثيرا ؟**

– **نعم يا سيدتى •• انى أحب القراءة •**

وألقت نظرة على غلاف الكتاب • كان رواية رخيصة من النوع الذى تجده بكثرة عند صديقاتها ويقرأنها فى الخفاء عندما كن فى المدرسة الثانوية • وألقت الكتاب جانبا وهى تسأل : **هل القصة مسلية ؟**

ونظر اليها بعينيه اللتين تشبهان عينى الغزال ورد على استفهامها : **انها قصة عاطفية يا سيدتى ؟**

عاطفية ! يا لها من تسمية غريبة ! وظلت تحدثه عن التصوير وعن الصور التى صنعها لها •• وسألته عن الصورة التى أعجبته أكثر من غيرها فى المجموعة كلها • كانت طول الوقت تشعر بشعور جارف بأنها تسيطر تماما على الموقف • كانت تعرف تماما ماذا يجب أن تفعل ، وفى أى وقت عليها أن تبتسم ، وفى أى وقت تصمت • كانت تعلم متى يجب أن تتساهل ومتى تتمنع • كانت هذه اللعبة تذكرها بأخرى كانت تجيدها وهى صغيرة عندما كانت تلبس قبعة والدتها وتقول لصديقاتها الصغيرات : تعالين نلعب لعبة السيدات ! »

كانت الآن تلعب لعبة جديدة •• ليست لعبة السيدات •• ولكن لعبة أخرى • لعبة ماذا ؟ لم تكن تعرف ! ولكنها على أى حال ليست السيدة التى عاشت طويلا فى صالونات الشاى محاطة بأشياء قديمة وبنساء عجائز •

كان المصور لا يتكلم كثيرا وانما أصبح يستمع جيدا للمركيزة ويومىء برأسه علامة الموافقة • كانت تستمع الى كلامها المنطلق فى شىء من الدهشة وهى تتحدث بذكاء وألمعية • أما هو فلم يكن سوى الشاهد الصامت لتلك السيدة التى تحولت الى مخلوقة ذكية ومرحة • ثم كان بينهما صمت • مجرد توقف لهذا الحديث ذى الاتجاه الواحد ، قطعه الفتى المتعبد وهو يسألها فى رجاء حار :

– **هل تسمحين لى بأن أطلب منك شيئا •؟**

– **بالتأكيد ••**

– **أريد أن أصورك هنا وحدك أمام هذا المنظر الخلاب ؟**

وفكرت فى ذهنها : أهذه هى كل طلباته • يا له من فتى غر خجول !

وردت على رجائه : **نعم كما تشاء • خذ لى من الصور ما ترغب • كم هو جميل أن أجلس هنا •• وربما تمددت أيضا ••**

ورد عليها فى ذكاء وسرعة : **الأميرة الجميلة النائمة فى الأحراش !**

ولكنه شعر بأنه تجاوز حدود اللياقة ، فقال فى صوت خفيض : « كم أنا آسف » • ثم أخذ آلته • وفى هذه المرة لم يسألها أن تتخذ جلسة معينة ، وانما صورها كما هى ، دون أن تغير موقفها • والتقط لها صورة وهى جالسة على الارض وفى فمها فرع قصير من النبات الاخضر • وكان هو الذى ينتقل من هنا الى هناك بحثا عن زوايا الضوء لكى يصورها تارة صورة كاملة ، وتارة صورة جانبية • وبدأ النوم يداعب جفنيها • كانت الشمس قد تسللت اليها بينما كانت الفراشات تتراقص أمامها فتثاءبت وتمددت على الحشائش • وجرى اليها الفتى وقد قدم لها سترته : « أتقبلين سترتى كمخدة ؟

وقبل أن تجيب عن سؤاله ، كان الشاب قد طوى سترته ووضعها تحت رأسها وارتاحت على السترة التى سبق أن احتقرتها • وركع الى جانبها وقد انشغل فى اعداد آلته ونظرت اليه السيدة الراقدة وهى نصف مغمضة • ورأته يركع على ركبة قدمه السوية بينما مد قدمه القصيرة •• وتساءلت فى نفسها اذا كانت قدمه تؤلمه •ونظرت الى حذائه ووجدت فردة القدم القصيرة تلمع ببريق أخذ أكثر من الفردة الاخرى• وتخيلته فجأة فى الصباح وهو يلبس حذاءه وقد انحنى عليه لتلميعه طويلا • وحطت فراشة على **يدها** ، كما لو كانت فى حالة انتظار ، وقد لمعت اجنحتها • ماذا تريد تلك الحشرة ونفختها فطارت ••**غير انها** عادت ثانية فى تردد ولكن فى عناد كان **بول** قد ترك آلته جانبا ،وظلت هى تشعر بنظراته تحيط بها • وقالت فى نفسها اذا تحركت الآن ، سيقوم وينتهى كل شىء وظلت تفحص الحشرة اللامعة كانت **تعلم** انه

بعد فترة زمنية ، سوف يرفع الفتى نظره عنها وان الفراشة سوف تطير أو أن الصمت سيكون رهيبا وتضطر اذ ذاك ن تقطعه بضحكة بلهاء سوف تهدم كل شيء • وفي أسف التفتت الى الفتى الذى كان يحدق فيها بعينيين امتلأتا بالاعجاب والرهبة وبكل تبعية العبد الأمين •وسألته :

ـ لماذا لاتقبلني ؟

وذهبت لحظة لصدى كلماتها ، فقد أتتها بشعور من الرعب • ولكنه لم يجبها ولم يتحرك • واستمر في النظر اليها • وأغلقت عينيها وطارت الفراشة •

وعندما اقترب المصور منها لم تشعر بكل ما كانت تنتظر حدوثه • ولم تكن بينهما ضمة مفاجأة وعنيفة • جاءها شعور بأن الفراشة عادت اليها وانها تداعبها بجناحيها والملمس الحريري ، وانها قد حطت على بشرتها في نعومة ورفق وعندما ابتعد عنها كان انسحابه في ذوق وكياسة • وتركها وحدها حتى‌لا يكون بينهما صمت ثقيل يضطر أن يملأه بحوار مصطنع •

وظلت المركيزة مستلقية على الحشائش وتفكيرها معلق فيما يمكن أن يحدث بعد هذه الالفة • لم تكن تشعر بأى احساس بالعار أو الذنب • كنت على العكس هادئة وصافية النفس • كانت تفكر في عودتها الى الفندق ودبرت كل شيء • سوف تتركه يتقدمها بحيث لا يربط الناس بأية فكرة بينها وبينه • وقامت واصلحت هندامها وأخرجت علبة الزينة وأصبع الأحمر • كانت الشمس أقل حرارة من ذى قبل وهبت من البحر ريح خفيفة منعشة ، كانت لا زالت تفكر في الأيام المقبلة • اذا ظل الطقس جميلا استطاعت أن تجيء هنا كل يوم وفي مثل هذه الساعة • ولن يدرى أحد ان المس كلاى والطفلتين يرتحن وقت القيلولة • وعليها أن تمشي وحدها عند الحضور والانصراف مثل اليوم •• وهناك عند قمة المرتفع يمكنها أن تلتقى به في الخفاء ، فما زال أمامها ثلاثة أسابيع •• أن أهم شيء الآن الا يسوء الجو أو يمطر• وفي أثناء عودتها الى الفندق فكرت في احتمال أن الجو يسوء • عندئذ سيكون عندها ملاذ في البدروم • المدينة حقيرة وقد يكون من التهور أن تلتقى به هناك • وسيكون من الفاضح أن تلبس رداء يقيها من المطر وتخرج به تحت وابل المطر أو الريح •• أن تصرفا كهذا لافت للنظر ••

وفي مساء ذلك اليوم كتب الى صديقتها « اليز »

« انى أمرح هنا بعيدة عن زوجى ••ان المخبأ رائع •• »

غير أنها لم تعط اية تفاصيل عن مغامراتها ، رغم انها تحدثت عن الحشائش وعن الطقس الحار • كانت تعرف أن اليز ، طالما لم تمدها بتفاصيل ، سوف تتخيل انصـــديقها رجل أمريكى في أجازة قصيرة • وفي اليوم التالى ارتدت ملابسها في أناقة زائدة ، وظلت فترة طويلة أمام المرآة لتختار الرداء المناسب •••

ثم‌ذهبت الى المدينة بصحبة المس كلاى وابنتيها • كانت مشيتها الكسول وهى تلف قبعتها بأصابعها يوحى بمنظر جميل وهى بين ابنتيها الفاتنتين • كان الناس يلتفتون نحوها أو حتى يفسحون الطريق لهذا الموكب الرائع • ولما كان هذا اليوم هو يوم السوق الأسبوعية فقد ازدحمت الطرق والممرات بالذين أتوا من القرى القريبة وبالسياح الأجانب الذين أتوا الى المدينة للبحث عن هدايا تذكارية • واشترت المركيزة بعض الاشـيـاء الصغيرة واعطتهـا للمس كلاى ، ثم توجهت الى محل التصوير الذى يعلق لافتات عن منتجات كوداك كان المحل مزدحما بالمشترين وقد جاءوا اليه لشراء الهدايا • وتشاغلت‌المركيزة في النظر الى بعض المناظر الطبيعية دون أن يجعلها انشاغلها تفقد صلتها بما يدور حولها • كان الاخوان بالمحل **المسيو بول واخته** • بول يرتدى قميصا ورديا في هذه المرة ،رأته المركيزة أبشع من قميصه **الأزرق** • أما الأخت فكانت مثل بقية البائعات تلتفع بشال يسقط على كتفيها • كان قد لمحها وهى تدخل المحل ، فخرج بسرعة من وراء الحاجز تاركا لأخته مهمة مناقشة الزبائن • ووقف أمامها في أدب وانكسار وهو يطلب ان يؤدى لها أية خدمة لم يكن في حديثه أى أثر للالفة ولا في عينيه أى دليل على التواطؤ • وتأكدت من هذا الشعور وهى تنظر في عينيه نظرة مباشرة ثم أشركت المس كلاى والطفلتين في الحديث عمدا بأن طلبت من المربية أن تختار بعض المناظر لترسلها الى أهلها بانجلترا • ثم انتقدت صور الاطفال وقالت انه لايمكنها أن ترسلها الى زوجها • كان المصور يجد تصرفاتها طبيعية وهى تكلمها بلهجة قاسية • واعتذر وهو يقول ان الصور لا تعبر فعلا عن جمال الأطفال ، لأنها تظلمهم ، وانه في

سبيل اداء واجبه سوف يأتى مرة ثانية الى الفندق للتصوير ، وبدون اتعاب بطبيعة الحال • واستدار الناس ليروا المركيزة ، كانت تشعر بوجودهم وهم يسبحون لجمالها • وفى برود وعدم مبالاة طلبت من المصور أن يريها بعض الاشياء الصغيرة • وجرى الشاب بسرعة ليأتى بها وهو حريص على ارضائها • كان العملاء الآخرون يتململون وهم فى انتظار الاخت التى ظلت تتنقل بقدمها القصيرة من أول الحاجز الى آخره دون أن تستطيع ارضاء جميع المشترين ، ومن وقت لآخر ترمق بنظرة شرزاء أخاها كانه تسأله متى ينتهى ويأتى لمساعدتها • ورقت مشاعر المركيزة بعد أن تذوقت فى لذة ذلك الشعور بالانتصار الكامل الذى جعل مجيئها الى المحل يثير كل هذا الاضطراب فيه • وملأ قلبها الآن احساس بالراحة • وقالت للمصور : ــ « **سوف أدعوك ذات صباح لتصوير الاطفال ، والآن أريد أن أسدد حسابى ان المس كلاى ستقوم بهذه المهمة ••** »

ثم خرجت فى عدم اكتراث دون أن تحييه • ولم تغير ملابسها قبل الغداء فاحتفظت بنفس رداء الصباح كانت الشرفة اليوم مزدحمة وكانت تصل الى مسامعها همسات تؤكد لها أن الاحاديث تدور حول جمالها وحول فتنتها وهى محاطة بالأولاد كان يخيل اليها ان مدير الفندق والخدم مدفوعون الى خدمتها وقد سرهم فعلا أن تكون نزيلتهم بهذا الاغراء ، واصبحوا يخدمونها فى كثير من المراعاة التى تقارب التزلف • كان كل شىء حولها يساهم فى ابراز فتنتها ازدحام المكان ، رائحة الأطعمة التىتفتح الشهية ، عطور الأزهار ، كسل الناس ، وهدير الامواج القريبة • وعندما تركت المائدة هى وأولادها وصعدت الى غرفتها ، غزا قلبها شعور بالسعادة المطلقة • انه شعور بالامتلاء والسرور الجامع كالذى يملأ الممثلة الاولى وهى خارجة من خشبة المسرح بين طلبات الاعادة والتصفيق •

واتجهت المربية والأولاد الى غرفتهن ، بينما دلفت المركيزة الى غرفتها فغيرت رداءها وحــذاءها ثم مشت على أطراف قدميها متجهة الى الطريق الضيق الصاعد نحو المرتفع • وكما توقعت وجدته هناك ينتظرها ولم يشر واحد منهما الى زيارة الصباح فى المحل ولا الى سبب اللقاء الآن بعد الظهر • وكما لو كان اتفاقا صريحا ربط بينهما ، اتجها توا الى المخبأ وجلسا • وظلت المركيزة تصف له الضجيج الذىعانت منه فى اثناء وجبة الطعام وازدحام الناس فى الشرفة وهمساتهم وأظهرت له سرورها بأن تستطيع أن تأتى هنا الى المخبأ حيث الراحة والهدوء واعتدال الجو فى هذا المرتفع ••• كان يهز رأسه علامة الموافقة على مايسمع منها ويلتهمها بعينيه ، كان روح العالم ينبثق من كلماتها • وكما حدث فى اليوم السابق طلب منها فى خشوع أن تسمح له بأن يصورها وقبلت بارتياحواستلقت على ظهرها وأغمضت عينيها •

وانمحت فكرة الزمن فى ساعات بعض الظهر التى تبدو فى الأيام الآخرى طويلة ومملة • وكما حدث فى اليوم السابق ، أتت الحشرة الصغيرة تداعب جسدها ، بينما أطلت عليها أشعة الشمس • كانت تشعر مرة ثانية بلذة المغامرة وقد ملأ قلبها شعور بالغبطة لأن هذه اللذة العابرة لم ترتبط فيها بأية عاطفة جارفة • كان عقلها وقلبها بعيدين عن المخاطرة ، كان شعورها مثل احساسها عندما تذهب الى معهد التجميل فى باريس وتطلب تدليك وجهها •

وفى هذه المرة انسحب الفتى من المخبأ فى أدب وصمت ، ولما ابتعد بمسافة كافية من المخبأ ، خرجت هى منه لتعود الى الفندق • كان حظها عظيما لأن الطقس استمر فى تحسن • وكانت تقوم عقب وجبة الغداء للنزهة اليومية بعد أن ترسل المربية الاولاد الى الراحة ، ولا تعود الا الساعة الرابعة والنصف لتناول الشاى • وفى بادىء الأمر عبرت المس كلاى عن اعجابها بسيدتها الشجاعة التى تتنزه فى الشمس ، ثم رأت فى نهاية الأمر ان الموضوع لا يعدو أن أصبح تعودا جديدا • واذا كانت المركيزة يحلو لها أن تتنزه فى الحر القاسى ، فهذا شأنها وحدها ، ولكنها أحست بأن هذه الرحلات أصبحت تأتى بنعمة جديدة ، لأن سيدتها أصبحت أقل غطرسة نحوها وأقل تعسفا نحو أولادها • هذا فضلا عن نسيانها للصداع الأليم الذى كان يلازمها فى الأيام الأولى •

وانقضت خمسة عشر يوما ، شعرت بعدها المركيزة بأن اللذة الأولى لمغامرتها ظلت تتناقص ، لابسبب بول لأنه لم يتغير ، وانما لأنها اعتادت على هذه المقابلة الرتيبة فى كل يوم ، تماما مثل الدواء الجديد عندما يكون مفعوله فى أول الامر سحريا ، وتتلاشى قوته بعد الاعتياد عليه وتكرار تناوله • وأدركت

المركيزة بغريزتها ، انها يجب ـ لكى تستعيد لذة الأيام الأولى ـ أن تعامل هذا المصور ليس كشاهد صامت لعواطفها المشبوبة ، أو كحلاق مثلا ، وانما أن تعامله ككائن بشرى له جسد ودم يمكن جرح مشاعره . وبدأت فى انتقاد ملابسه واشتكت من أن شعره طويل ، وملابسه غير مضبوطة ، ومحله لا يدار بطـريقة صحيحة ، وان الورق الذى يطبع عليه الصور ليس من النوع الجيد .

وأصبحت تجد لذة قصوى فى تتبع آثار هذا العتاب على نفسيته ، ويحلو لها أن تلمس القلق مرتسما فى عينيه وفى وجهه حين يصبح باهت اللون وفى التراخى الذى يحل عليه نتيجة القنوط وفتور الهمة ، كما لو أنه يدرك الى أى حد هو غير جدير بها ، بل هو أقل كفاءة منها فى كل شىء على الاطلاق . حينئذ كانت تشعر باللذة القديمة تملأ جوانحها .

وبدأت بعد ذلك فى خفض ساعات اللقاء ، بأن تتعمد الحضور متأخرة لتجده فى انتظارها وقد نهش القلق تفكيره . واذا لم يكن مزاجها قابلا للحب ، كانت تعامله فى جفاء ولا تستجيب الى عناقه فى يسر ، أو تصرفه بسرعة ، وتراه عندئذ بعين خيالها وقد جر ساقه العرجاء خلفه وهو ذليل كئيب . وسمحت له أن يصورها وحدها . وكان هذا التصوير جزءا من لعبتها ، لأنها كانت تعلم مدى عذابه عندما يراها ساكنة لا تتحرك فى فتنتها الطاغية وجمالها الأخاذ الذى يقارب الكمال . وأحيانا كانت تطلب اليه أن يحضر الى الفندق لتصويرها مع أولادها فى الحديقة ، وتلتذ عندما ترى عيون المعجبين ترمقها من الشرفة ومن كل مكان .

ثم جاء يوم اشتد فيه الهواء فلم تذهب الى موعد اللقاء ، وآثرت أن تقضى وقتها فى قراءة رواية ، فشعرت بأن هذا التغيير قد جلب لها راحة وسعادة .

وفى اليوم التالى اعتدل الجو فقررت أن تذهب الى المخبأ . ولاول مرة منذ أن تعرف اليها ، بدأ يعاتبها وقد اشتد صوته بسبب القلق : « لقد انتظرتك أمس .. ماذا حدث لك ؟

واستدارت نحوه فى دهشة : « لم يكن الطقس جميلا ، فآثرت عدم الخروج .

ـ لقد خشيت أن يكون قد لحقك سوء ، أو تكونى مريضة . وجاءتنى فكرة الحث على ولم أنفذها .. فكرت أن أتصل بالفندق للسؤال عنك .. لم أنم طول ليلتى .. اذ كنت مضطربا غاية الاضطراب !

وتبعته الى مكانهما المعهود وأثار كلامه بعض السرور فى دخيلة نفسها ، ولكنها فى ذات الوقت لم تنس كيف سمح لنفسه أن يوجه اليها اللوم . كان موقفها منه أشبه بتصرفها نحو حلاقها فى باريس أو عامل معهد التجميل عندما يلومها لأنها تأخرت عن الموعد الذى ضربته لها . وقالت له : « أنت تخطىء كثيرا اذا خيل اليك فى يوم ما ان هناك التزاما على بأن آتى الى هنا فى كل يوم . ان لدى أشياء أخرى كثيرة أقوم بها .. »

عندئذ اعتذر لها فى تواضع ورجا منها أن تسامحه . وقال لها :

ـ لا يمكن أن تعلمى مدى ما تمثلينه بالنسبة لى . منذ اللحظة التى عرفتك فيها وحياتى تغيرت . أنا لا أعيش الا لتلك الدقائق التى أراك فيها .. »

وأعجبها خضوعه لها ، لأنه أعاد اهتمامه به . وأعجبها منه تعلقه بها كطفل صغير يتمسك بأمه . وعبثت بشعر رأسه وقد دفعتها الى ذلك عاطفة الأمومة نحوه ، ياله من طفل مسكين ، ذلك الذى قطع كل هذا الطريق الصاعد يجر قدمه خلفه لينتظرها فى هذا اليوم العاصف ويظل وحده ساعات بأكملها فى قلق تحت هواء قارس . وفكرت لحظة فى الخطاب الذى سوف ترسله الى صديقتها اليز : كم أخشى أن أكون حطمت قلب بول . انه أخذ مغامرتى مأخذ الجد . ولكن ماذا أفعل يا صديقتى ؟ كل شىء لا بد له من آخر . لا يمكننى بطبيعة الحال أن أقلب حياتى رأسا على عقب من أجله . وأخيرا انه رجل .. وسوف ينسى ! » .

وسوف تتخيل اليز هذا الرجل أمريكيا أشقر الشعر وله جسم رياضى .. وسوف تراه يودعها بمرارة ثم يركب سيارته من طراز باكار وفى يأسه يتجه بها فى سرعة مخيفة نحو المجهول !

وبعد أن ضمها الى صدره فى ذلك اليوم لم ينصرف ، وانما ظل جالسا على الحشائش وقد ثبت نظره على الصخور العاتية التى تطل على البحر . وسمعته يقول فى هدوء :

ـ « لقد اتخذت قرارا بالنسبة للمستقبل » .

وشعرت المركيزة بمولد مأساة بدأت تتكون أمامها • هل كان يريد انه ينوى الانتحار ؟ ولكن هذا هذا شيء رهيب حقا ! بطبيعة الحال ، عليه مراعاة لشعورها أن ينتظر حتى تنتهى اقامتها فى الفندق وتكون قد عادت الى قصرها !

وسألته فى صوت يفيض حنانا : « وماذا قررت ؟ » •

ـ قررت أن أترك المحل باسم أختى • انها نشطة • أما أنا فسوف أتبعك أينما ذهبت • سواء عدت الى باريس أو الى الريف • سأكون دائما بالقرب منك وآتى اليك كلما رغبت فى رؤيتى • »

وبلعت المركيزة ريقها بينما أحست بأن قلبها على وشك التوقف • وبعد لحظة رهيبة قالت : « ولكن هذا مستحيل • ومن أين ستعيش ؟ »

وقال لها : أنا لست أنوفا ولا متناهيا •• ان القليل من عطائك يكفينى •• وحاجاتى قليلة فى الحياة • انى لا أستطيع أن أعيش بدونك • والحل الوحيد الذى ارتأيته هو أن اتبعك حيث تذهبين والى الأبد • سوف أستأجر غرفة فى باريس بالقرب من قصرك • أو فى الأرياف أيضا حتى أكون على مقربة منك • ولن نعـدم وسيلة لنلتقى •• عندما يكون الحب قويا كالذى يربطنا ببعض ، فانه لا يعـرف العقبات ! » •

كان يعبر عن نفسه بطريقته الخاشعة ، غير أن حماسه فى هذه الكلمات كان رائعا لم تتوقعه • وشعرت بأنها فعلا أمام مأساة جاء وقتها غير مناسب • فأمامها الآن شخص مستعد لان يترك كل شيء خلفه لكى يتبعها الى باريس وحتى الى الريف حيث تعيش بضعة شهور فى السنة •

وقالت فى عنف وهى تقوم : ولكنك مجنون ! بمجرد أن أترك هذا المصيف ، لن يمكنى أن أراك ثانية ، لأنى لن أكون حرة • ألا تعـلم حتى الآن مركزى فى المجتمع ، ألا تدرك معنى هـذا الحب بالنسبة لى ؟

وهز رأسه • كان الحزن مرتسما على وجهه وقال فى اصرار بالغ : لقد فكرت فى كل التفاصيل • وأنا بطبيعتى خجول وحذر ، فلن تخافى شيئا • فكرت فى أن تستخدمينى عندك كخادم • فلا يهمنى مطلقا أن أعمل خادما • لأنى لست متباهيا كما سبق أن أخبرتك • وهناك يمكننا أن نستمر فى حبنا ، ان زوجك رجل كثير الشواغل وهو يتغيب معظم ساعات النهـار • والبنتان تخرجان كل يوم بعد الظهـر مع المربية •• •

وصدمت المركيزة صدمة عاتية الى درجة انها لم تتمكن من الرد على كلامه • لم تكن تستطيع أن تتخيل شيئا رهيبا مثل وجود هذا الشخص الأعرج عندها • وتصورته وهو يذهب ويجيء جارا ساقه خلفه فى بطء مزعج •• ثم تخيلته وقد أتاها فى وقت الراحة يقرع على بابها فى خشوع فى كل يوم بعد الظهر ••

ألهذا الدرك سوف تنحط ؟ يا له من مخلوق تعس •• أن تراه فى منزلها يراقبها ويتابعها بعينيه اللتين تفيضان بالضراعة والاشتياق »

وفى لهجة حاسمة قالت له : انى أخشى أن أقول لك بأن ما تقترحه على لا يمكننى قبوله • كما أنى لن أراك بعد انصرافى من المصيف • كان يجب أن تعرف ذلك بحصافتك • كانت تلك الساعات التى قضيتها معك لذيذة •• لكنها انصرمت لأن أجازتى قاربت الانتهاء • وبعد أيام سوف يأتى زوجى ليأخذنى أنا والاولاد ونعود • هذا كل ما عندى لأقوله لك !

وتأكيدا لرغبتها فى انهاء الحديث قامت وأصلحت ملابسها ومرت بالمشط فى شعرها ، ثم أخرجت حافظة نقودها وفتحتها ، وأخرجت منها عدة ورقات من فئة العشرة آلاف فرنك وقدمتها اليه قائلة : « خذ هذه الورقات وأصلح بها محلك ، واشتر هدية لأختك • وتذكر أنى سوف أتذكرك دائما بحنان • »

ولدهشتها البالغة ، رأت وجهه يبهت تماما وشفتيه ترتجفان • وسمعته يقول لها : « لا • لن آخذ هذه النقود • انها قسوة منك أن تعرضى على نقودا • »

وفجأة انفجر يبكى بحرارة وقد دفن وجهه بين يديه • ونظرت المركيزة اليه فى اضطراب ظاهر • كانت لا تدرى هل تتركه أو تظل معه • كانت تخشى أن تعتريه أزمة نفسية فيحطم ما أمامه • وداخلها شعور بالأسف من أجله ، وخاصة من أجلها هى ، لأنه فعل فعلا سخيفا أمامها قرب فراقهما • ان رجلا

غيره لم يكن ليسمح لنفسه بأن يتصرف هذا التصرف الصبياني • والمخبأ الذى بدا لها قبل ذلك رائعا أصبح مقيتا الآن • وحتى قميصه المعلق على غصن أصبح حقيرا • وصاحت به وقد اهتاجت أعصابها :

– بالله اضبط أعصابك !

وكف عن البكاء ورفع يديه فكشفتا وجهه الذى بللته الدموع • ثم نظر اليها وهو يرتجف وقد عبرت عيناه البنيتان عن قمة اليأس : « لقد انخدعت فيك • والآن اعلم تماما من أنت • انت امرأة سيئة •• انك تتسلين بتحطيم حياة رجال أبرياء مثلى •• لسوف أروى كل الحقيقة لزوجك ••

ولم تجب المركيزة • كانت تظن انه يهذى ويقول مالا يفهم ••

وقال لها المصور : « هذا ما سوف أفعله • عندما يحضر زوجك الى الفندق سوف أقابله وأحكى له كل شىء •• وسوف أريه الصور التى صورتها لك هنا •• وأثبت له انك كنت تخدعينه •• وسوف يتأكد انك امرأة سيئة • وسوف يصدقنى •• أما أنا فلم أعد أخشى شيئا ، لأنى لن أتعذب بعد الآن قدر عذاب اللحظة التى أنا فيها • ولكن أؤكد لك ان حياتك أيضا سوف تتحطم •• وجميع الناس سوف يعرفون الحقيقة •• سوف أقول كل شىء للمربية الانجليزية ولمدير الفندق وسوف يعلم الجميع كيف كنت تقضين ساعات الراحة بعد الظهر •• »

وتناول سترته وعلق آلته على كتفه •• واستولى الفزع على المركيزة • وتساءلت اذا كان سوف ينفذ تهديده لها ، وهل ينوى حقا انتظار دوار فى بهو الفندق •

وقالت له : اسمع • اننا سوف نعقد اتفاقا ••

ولكنه تجاهل ضراعتها • كان وجهه أصفر اللون وبه عزيمة جبارة • ووقف على حافة المنحدر ليأخذ عصاه • وفى تلك اللحظة الحاسمة استولى على المركيزة شعور جارف لم تستطع الافلات منه ، فاقتربت منه وقد مدت يديها نحوه ، ثم دفعته بقوة هائلة • لم يصرخ الفتى وهو يهوى فى الفضاء • وركعت المركيزة على ركبتيها ، ولم تستطع الحركة لفترة من الوقت ، ثم شعرت بالعرق يتساقط من جبينها ، وماتت حركة يديها • ونظرت من خلال الحشائش وتأكدت أن أحدا لم يرها • كانت وحدها فى المرتفع كالمعتاد •

وانقضت خمس دقائق طويلة وقامت تنظر الى البحر • كان البحر هائجا والأمواج تتعالى وتضرب الصخور فى عنف بالغ • ولم تشاهد جثة الفتى على البر لأن حافة السفح لا انحدار فيها ، فهى تسقط عمودية تقريبا على البحر • ولمت المركيزة أشياءها وانصرفت • كانت ركبتاها عاجزتين عن حملها لأنهما كانتا ترتجفان واضطرت الى الانتظار • ثم نظرت الى ساعتها تحت ايحاء الجريمة ورأت العقارب تدلان على النصف بعد الثالثة • واذا سألها أحد عن استخدام وقتها ستقول : لقد كنت هناك فعلا فى نحو الثالثة والنصف ولكنى لم أسمع شيئا • هذه هى الحقيقة ، لأنها فى الحقيقة لم تسمع شيئا على الاطلاق • وأخرجت مرآة صغيرة من حقيبتها ودهشت لشحوبها البادى وأرادت أن تتزين فى اتقان خشية ان تكشف المس كلاى سرها • فمسحت وجهها بطبقة من البودرة ثم مرت على شفتيها بالاحمر • ولكن هذا اللون الاخير جعلها تبدو كمسخ السيرك لقلة انسجامه عليها من فرط شحوبها • وفكرت مليا فى الامر وقالت : ليس أحسن الآن من الذهاب الى الشاطىء وأخلع ملابسى هناك فى الكابين ثم استحم • وبعد ذلك أعود الى الفندق ورأسى ووجهى مبتلان •واذا سألنى أحد قلت انى كنت فى البحر ، وهذا أيضا صدق ! »

واستمرت فى المشى حتى اذا ما بلغت الشاطىء شعرت بالتعب الشديد كأنها مريضة قامت فى نقاهتها • كانت على وشك الانهيار ولكنها تمالكت نفسها • كل ما كانت تفكر فيه الآن هو أن تعود الى الفندق وتلجأ الى غرفتها وتغلق مصراعى نافذتها وتظل فى الظلام فترة طويلة بعد أن تغمض عينيها • ولكنها لم تجد مفرا من الاستمرار فى الدور الذى رسمته • ودخلت الكابينة وخلعت ملابسها بسرعة ثم ذهبت الى الماء بعد أن تخلصت من حذائها الخفيف المصنوع من ألياف الحبال • وبينما كانت تسبح نظرت الى الناس حولها واهتمت بأشكالهم • ربما شهد بعضهم وقال : « نعم لقد رأيت سيدة تأتى من المرتفع ! »

وبدأ الماء يبرد ولكنها استمرت فى السباحة الى أن صاح طفل كان يلعب مع كلبه فى الماء بأنه شاهد شيئا لونه أسود فى الماء ، فاستولى عليها فزع قاتل حتى كادت تهوى الى القاع • كان يخيل اليها انها لو استمرت فى السباحة لاصطدمت بجثة الغريق • وجلست بالقرب من كابينتها وقد خبأت رأسها بين يديها •

كان زوجها ينوى الحضور بعد خمسة أيام ، ولكنها اتصلت به بالتليفون ورجته أن يحضر قبل موعده • « ان الطقس حقا جميل ، ولكنى مللت المكان ، لأن الازدحام زاد والضجيج كثير ، والخدمة أصبحت غير ممتازة » • **وأفهمت زوجها أنها حريصة على العودة بسرعة الى منزلها لأن الحديقة لا بد قد ازدهرت الآن وأصبحت رائعة !**

وأسف زوجها لقرارها المفاجىء ، وطلب اليها أن تمكث ثلاثة أيام لأنه مرتبط بمشاغل كثيرة ، خاصة وانه يجب عليه أن يزور باريس لانهاء مسألة فى غاية الأهمية ثم وعدها بالحضور يوم الخميس القادم ويسافران فى نفس اليوم عقب تناول طعام الغداء • وسألها زوجها « **كنت آمل أن أقضى معكم حتى نهاية الاسبوع حتى أتمكن من الاستفادة بحمامات البحر ثم نعود يوم الاثنين •• ألا يمكن حجز الغرف حتى هذا اليوم ؟** » •

لم يكن فى الامكان حجز الغرف لأنها أخبرت مدير الفندق بقرارها وقد أجر الغرف لنزلاء جدد • كان الفندق مليئا وأكدت المركيزة لزوجها بأن الاقامة لن تعجبه ، خاصة فى فترة نهاية الاسبوع ، وتشددت فى التأكيد عليه كى يحضر يوم الخميس للعودة بعد الظهر •

ووضعت المركيزة سماعة التليفون ثم ذهبت لتتمدد على الكرسى الطويل فى الشرفة • وأمسكت كتابا وحاولت القراءة ، ولكن ذهنها كان منصرفا عن موضوع الكتاب • وكانت آذانها تنصت لكل الاصوات الخارجية • كانت تتوقع أن يدق التليفون فى غرفتها ويتأسف لها مدير الفندق وهو يدعوها أن تحضر الى مكتبه على وجه السرعة لأن رئيس الشرطة موجود • كان يبدو على رجال الشرطة انهم ينتظرون مساعدتها فى حل لغز غامض ! ولكن التليفون لم يدق وجرت الحياة فى طريقها المعتاد • وذهبت لتناول العشاء كالمعتاد وشقت طريقها كالمعتاد بين زحام المعجبين • كانت تجهد نفسها لتناول الأكل • كانت المأكولات لها مذاق الرماد • وادعت أنها مصابة ببرد خفيف • وفى المساء عندما أغلقت عينيها ، كان النوم يبتعد عنها • كانت تحس بأيد تضغط على ظهرها فى عنف وتحاول أن تلقى بها فى المجهول • وبنفس السهولة التى دفعت بها المصور ، كانت تهوى هى أيضا فى فضاء مفزع يشدها اليه •

وفى اليوم الثانى ، وهى جالسة فى شرفتها ، كانت عيناها تمتدان دائما نحو المرتفع البعيد كأنها تنتظر أن يأتيها من هناك مفاجأة • وحدث أن طلبت منها المس كلاى مرتين أن تذهب الى البلدة لشراء بعض الأشياء الصغيرة ، ولكن المركيزة كانت تجد سببا تثنيها عن عزمها • أما هى فلم تترك الفندق ، لأن أقل تفكير فى الشاطىء كان يعطيها شعورا بالألم والتمزق •

وقالت للمس كلاى : انى سأكون على ما يرام عندما يزايلنى هذا البرد الخفيف •

واستمرت مستلقية فى الشرفة تقلب المجلات ذاتها لأكثر من عشر مرات •

وفى صباح اليوم الثالث جاءت البنتان ومعهما أعلام ملونة تلعبان بها : انظرى يا أماه • اننا سنغرس **هذه الأعلام الجميلة على قصور الرمال عصر اليوم •**

ـ ومن أين أتيتما بها ؟

ـ اشترتها لنا المس كلاى من السوق اليوم • لقد ذهبنا الى هناك بدلا من قضاء وقتنا فى الحديقة لتحضر الصور الأخيرة •

وشعرت المركيزة بصدمة قاسية مفاجئة ، غير انها ظلت فى مكانها جامدة • وسمعت الأولاد يتحدثون مع المس كلاى فى غرفة الحمام • وبعد دقائق حضرت المربية وأغلقت الباب وراءها • وحاولت المركيزة أن ترفع رأسها نحوها •• كانت قسمات المس كلاى تفيض بالأسى وهى تقول :

ـ يا سيدتى لقد حدث شىء مؤلم جدا • لم أشأ أن أحدثك به أمام الأولاد •• انه عن المسيو بول •• ـ المسيو بول ؟

كان صوتها ينم عن هدوء عجيب ، وقد أرادت أن تكون دهشتها معبرة عن الاهتمام اللائق بأحد من أمثاله •

ـ ذهبت اليوم لاحضار الصور ولكنى وجدت المحل مغلقا •• وتوجهت الى الصيدلية التى تقع جانبه أسأل اذا كانوا يعلمون عن سبب اغلاقه ، فقيل لى ان الآنسة بول ما زالت مضطربة كل الاضطراب لما

حدث • ولما استفهمت علمت أن حادثا فظيعا لحق بالمسيو بول ، وان الصيادين وجدوا جثته على بعد ثلاثة كيلومترات من الشاطىء • »

وشحب وجه المس كلاى وهى تروى القصة • كانت مضطربة كل الاضطراب بعكس المركيزة التى اكتسبت اتزانا تحسد عليه ، وقالت تعلق على ما حدث :

– كم هو رهيب هذا الحادث ؟ هل يعلم أحد كيف وقع الحادث ؟ »

– لا • لم أشأ أن أسأل فى الصيدلية لأن الأولاد كانوا معى • غير أنى أظن أنهم وجدوا الجثة فى حالة تعفن ، لأنه اصطدم فى الصخور • ترى ماذا سوف تفعل الأخت بدونه ؟ »

ورفعت المركيزة أصبعها لتطلب الصمت لان الاولاد اقتحموا الغرفة •

وذهب الجميع لتناول الغداء • أكلت المركيزة بشهية لم تعرفها فى الايام الثلاثة المنصرمة • وتساءلت فى نفسها عن السبب الذى أعاد لها شهيتها • ألأنهم وجدوا الجثة ؟ وبعد الغداء طلبت من المس كلاى أن تذهب الى مدير الفندق لتسأله عن تفاصيل الحادث الاليم ولتخبره بأن سيدتها تألمت جد الألم لما حدث • وبينما كانت المس كلاى فى طريقها الى الادارة ، سحبت المركيزة الطفلتين وصعدن جميعا الى غرفهن •

وبعد لحظات قصار دق التليفون فى غرفتها • انه الرنين الذى ترقبه بدون جدوى منذ ثلاثة أيام • ودق قلبها بسرعة •• ثم رفعت السماعة • كان المدير هو المتحدث وأفادها بأن المس كلاى حضرت عنده لتقدم أسفها على ما حدث • وأفادها بأنه كان يعلم بالحادث منذ الأمس غير انه لم يشأ أن يزعجها ، اذ ان من قلة اللباقة أن يتحدث المرء عن الغرق أمام المصطافين ، والظاهر من هذا الحادث الغامض أن الفقيد انزلق من المرتفع ، فقد عرف عنه انه يحب جدا التصوير فى هذه المنطقة • وبطبيعة الحال ، انزلق بسرعة نظرا لعاهة قدمه • وكم حذرته أخته أن يكون يقظا •• انه لأمر مؤسف حقا ، لانه ظريف ومحبوب من جميع الناس ولم يكن له أعداء •• وهو فنان أصيل على طريقته • وسألها اذا كانت مسرورة من الصور التى أخذها لها ولطفلتيها • ان المدير سوف يبلغ أخت الفقيد عن الشعور الأسيف الذى أحست به المركيزة نحوه • وأشار عليها بارسال باقة من الزهور لتخفيف الصدمة على الأخت المسكينة •• غير أن أحدا لايعرف حتى الآن متى سيكون الدفن ••

وبعد انتهاء المحادثة ، استدعت المركيزة المس كلاى وأمرتها بأن تستأجر سيارة أجرة وتذهب توا الى محل بائع زهور وتطلب هنـاك أزهارا بيضاء ، من نوع الزنابق اذا وجـدت ، دون أن تتردد لحظة أمام المصاريف • وكانت المركيزة بعد ذلك تنوى أن تكتب كلمة عزاء على بطاقة ترفقها بالازهار •

وبعد دقائق اصطحبت المركيزة ابنتيها للذهاب الى الشاطىء • وسألت « سيلست » والدتها : ألست مزكومة الآن ؟

– لا يا حبيبتى • لقد ذهب البرد وأستطيع الآن أن أستحم ••

كانت المركيزة تفكر فى زوجها الذى تنتظر حضوره فى الغد •• وتشعر من جراء ذلك بسعادة جديدة لأنها سوف تغادر هذا المكان الى الأبد •• سوف تترك الفندق •• وسوف لا ترى بعد ذلك منظر المرتفع ولا البلدة •• وسوف تنسى تلك الاجازة وتمحيها من ذاكرتها تماما وكأن شيئا لم يكن • وقالت تحدث نفسها : عندما أموت سوف يعاقبنى الله • ولا مفر من تجاهل الحقيقة • أنا قاتلة ما فى ذلك أدنى شك• ولكنى من الآن فصاعدا أعاهد الله أن أكون زوجة مخلصة لادوار ، وأما رءوفة بأولادى • وسأحاول جاهدة تكفيرا لذنبى أن أكون طيبة مع جميع أقربائى وخدمى وجميع الناس » •

ولأول مرة منذ أربعة أيام استغرقت المركيزة فى النوم العميق • وفى صباح اليوم التالى ، حضر زوجها مبكرا وكانت مسرورة كل السرور لحضوره الى درجة أنها هبت من سريرها تحتضنه بعنف • وتأثر زوجها بهذا الاستقبال الحار وقال لها مستفهما :

– يبدو أنى غبت كثيرا على زوجتى الصغيرة !

– كم شعرت ببعدك ! ولهذا السبب تحدثت اليك بالتليفون لأدعوك •

– هل تريدين فعلا السفر بعد وجبة الظهر ••

ـ نعم • وبسرعة •• فلم أعد أطيق هذا المكان اطلاقا • ان كل الحقائب جاهزة ولم يبق سوى أن أضع فيها أدوات زينتى •

كانت تحدث زوجها وهى تمر فى الغرفة لترفع منها كل الاشياء التى تخصها ، ذلك لان الخادم سوف يأتى بعد قليل لوضع الملايات الجديدة تمهيدا لاستقبال نزلاء جدد •

وفجأة سألت زوجها : ألا يمكن أن نرحل قبل الظهر ؟ ونتغذى فى محل آخر •• فى أى مكان على الطريق ؟ فليس أسخف من أن يتناول المرء وجبة فى فندق بعد أن يكون قد سدد حسابه •

ورد زوجها : بالتأكيد يا عزيزتى !

كان الزوج مسرورا من حسن استقباله الى درجة أنه كان يتلهف لأن يلبى كل طلباتها •• أيتهـــا المسكينة ، لقد عانيت كثيرا فى غيبتى ! انها لتستحق تعويضا لهذا الاهمال !

كانت المركيزة ترسم شفتيها بالأحمر حين دق جرس التليفون ، فطلبت من زوجها أن يرد عليه ، اذ كانت تظن أن أحد الخدم يسأل عن الحقائب •

وتقدم المركيز من التليفون وبعد لحظات قال لزوجته :

ـ « ان المحادثة لك يا عزيزتى • ان سيدة تنتظرك فى البهو ، اسمها الآنسة بول •• جاءت لتشكرك على الزهور المرسلة منك » ••

ولم تجب المركيزة بسرعة • وعندما رآها زوجها ، خيل اليه أن أحمر الشفايف الذى وضعته لايناسبها مطلقا • كان يعطيها شكل امرأة عجوز لها نظرة وحشية ! كان يظن انها غيرت اللون المعتاد • وفكر فى أن يقول لها انه ليس ملائما لها على الاطلاق •• وسألها : بماذا يجب أن أرد عليها ؟ أراك غير راغبة فى محادثتها •• فهل أنزل أنا بدلا منك وأصرفها ؟

ولكن المركيزة ترددت فى اضطراب ، ثم قالت :

ـ لا • لا •• أفضل أن أنزل اليها • لقد حدث لها شىء رهيب • انها تشارك أخاها فى محل صغير للتصوير ، وقد تصورنا هناك صورا لى وللأولاد • ثم حدث أن مات أخوها غريقا • فارسلت لها زهورا •

ـ كم هو جميل منك •• انها للفتة رقيقة منك •• ولكن هل من الضرورى أن تضيعى وقتك •• خاصة وقد انتهينا تقريبا •

ـ اذن قل هذا لعامل التليفون ••

واستدار المركيز نحو التليفون وتبادل مع المتحدث كلمات قليلة ، ثم عاد يقول لزوجته : **انها تصر •• انها تقول ان معها صورا تريد أن تسلمها اليك شخصيا » •**

واجتاح المركيزة شعور بالرعب القاتل شل حركتها •• وبعد برهة قالت : **صورا •• أية صـــور ؟ لقد سددت كل ما على من نقود •• وانى أجهل ماذا تريد تلك السيدة » •**

وهز المركيز كتفيه وهو يسأل : **بم أرد عليها •• يخيل الى أنها تبكى بحرارة ••**

وأتمت المركيزة زينتها ، ثم قالت : **اذن قل لها أن تحضر الى هنا •• ولكن اذكر لها اننا سوف نترك الفندق بعد خمس دقائق على الأكثر •• وفى هذه الفترة أرجوك أن تأخذ الأولاد وتسبقنى الى السيارة • خذ أيضا المس كلاى معك •• بينما أنا أقابل تلك السيدة وحدى • »**

وعندما ترك الزوج الغرفة ، نظرت حولها ولم تر سوى حقيبة يدها وزوجا من القفاز • وسمعت قرعا على الباب ، فأمرت الضيف بالدخول •

ودخلت الآنسة بول • كان وجهها منتفخا من البكاء وعيناها تدمعان بغزارة • ترددت فى الدخول •• ثم خطت الى الأمام بقدمها العرجاء • كانت تتلوى فى مشيتها ، كما لو أن كل خطوة هى محاولة أليمة •

ـ سيدتى المركيزة •• سيدتى ••

ولكنها لم تكمل كلامها ، لأن دموعها انهمرت مدرارا •

وردت عليها برفق : **« أرجوك •• كم أنا آسفة لما حدث لك » ••**

وأخرجت الآنسة بول منديلها وقربته من أنفها ، وقالت :

ـ انه كان عندى كل شىء • كم كان طيبا بالنسبة الى •• والآن كيف سأعيش ؟ وماذا سأصبح فى المستقبل ؟

ـ هل لك أهل ؟

ـ انهم فقراء لا يملكون شروى نقير • انهم أناس محطمون •• لا يمكن أن أسألهم المعونة • والآن وأنا وحدي ، بدون أخي ، لن أتمكن مطلقا من ادارة المحل ، فليست صحتي على ما يرام ، لأني كنت مريضة على الدوام ، وصحتي متهافتة » •

وفتشت المركيزة في حقيبتها وأخرجت ورقتين من فئة العشرة آلاف فرنك •• وقدمتهـا اليهـا وهي تقول :

ـ « اني اعرف أن هذا المبلغ ليس كبيرا • ولكنه سوف يساعدك لفترة من الزمن • أخشى ألا تكون لزوجي صلات كثيرة في هذه المنطقة •• ولكني على كل حال سوف أسأله ، فربما استطاع أن يمد اليك يد المساعدة • »

ودست الآنسة بول أوراق النقد في حقيبتها دون أن تشكر المركيزة ! وقالت : « هذا المبلغ سـوف يكفيني حتى نهاية الشهر وسيساعدني الآن لتغطية مصاريف الجنازة » •

ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منها ثلاث صور وقالت :

ـ « عندي أخرى مثلها في المحل •• لقد ظننت انك نسيتها وانت في عجلة سفرك •• لقد وجدتها ضمن حاجيات أخي في البدروم حيث كان يطبعها » •

ومدت الصور الى المركيزة • واقشعر بدنها • نعم لقد نسيتها بغير شك أو نسيت بالتأكيد أنهـا موجودة • كانت الصور تمثلها وهي مستلقية على ظهرها وقد أراحت رأسها على سترة الفتى •• انه بلا شك داس على زر الآلة دون أن تعلم ، فظهرت صورها طبيعية ، الأمر الذي زاد من فتنتها وهي في نشـوة السعادة اللذيذة • كان قد أعطاها بعض الصور ، ولكن هذه الثلاث ، لم ترها على الاطلاق !

وأخذت الصور ودستها في حقيبتها • ثم سألتها في صوت جاف : أتقولين ان عندك غيرها ؟

ـ نعم يا سيدتي المركيزة •

وحاولت المركيزة أن تنظر الى عيني السيدة • كانتا مليئتين بالدموع •• ولكن ليس من شك أن لهما بريقا فهمت مغزاه • وسألتها المركيزة : « والآن ماذا تريدين مني ؟

وألقت الآنسة بول نظرة دائرية على الغرفة الفارغة الآن من متاع المركيزة •• ورأت المناشف ملقاة على الارض ، والملايات قد رفعت •• ثم قالت :

ـ « لقد فقدت أخي •• فضاع معنى حياتي • ان سيدتي المركيزة قد أمضت أجازة سعيدة وهي الآن على وشك العودة الى منزلها • اني متأكدة أن سيدتي لا ترغب مطلقا أن يرى زوجها أو أي فرد من عائلتها تلك الصور • أليس كذلك ؟

ـ بالتأكيد لا أرغب • حتى أنا •• فاني لا أرغب مطلقا أن أراها •

ـ على أية حال ، ان مبلغ عشرين ألف فرنك ليس شيئا بالمرة الى جانب الاجازة التي استمتعت بهـا هنا ياسيدتي المركيزة • »

وفتحت المركيزة حقيبتهـــا مرة ثانية ، كان بها ورقتان من فئـــة الألف فرنك وبضـع ورقات من فئة المائة ••

ـ « هذا كل ما تبقى معي •• ويمكنك أن تأخذيه • »

وتمخطت السيدة ، ثم قالت : « الأفضل أن نبرم اتفاقا لأطول مدة • والآن وقد ذهب أخي ، فان المستقبل بالنسبة الي في غاية التعاسة • ولماذا أظل هنا في هذا المكان الذي يعيد الي ذكريات أليمة • قبل وفاته بيوم واحد ، ذهب الى المرتفع ، وعاد ليلتها وهو متألم • كنت أعلم أن شيئا ما قد آلمه أشد الألم ولكني لم أسأله • ربما أخلفت صديقة له وعدها ولم تحضر لمقابلته مثلا • وفي اليوم التالي ، ذهب الى هناك ولم يعد • وأبلغت الشرطة ، وبعد ثلاثة أيام وجـدوا جثته • ولم أتكلم ، تاركة للشرطة أن تتحدث عن احتمال فكرة الانتحار • ولكني أعلم طباع أخي جيد المعرفة • وأعرف أن قلبه رقيق غاية الرقة • واذا كان مقدر علي أن أتعذب ، فلن يبقى أمامي الا أن أذهب الى رجال الشرطة وأوحي اليهم بأن أخي كان ضحية حب يائس وأترك حاجياته الخاصة ليفتشوا فيها عن الدليل • »

وجمد لسان المركيزة من الفزع ، خاصة وقد سمعت خطى زوجها تقترب من الباب • وصاح بها زوجها :

ـ ألا تحضرين يا عزيزتى ؟ ان السيارة على وشك القيام ، والأطفال قلقون ••

وانحنى يحيى الآنسة بول • وقالت الزوجة : « **سوف أكتب اليك لأعطيك عنوانى فى باريس وفى الريف ••** »

ثم فتحت حقيبتها لتبحث عن بطاقة •

ـ أرجو أن تتسلمى أخبارا منى قبل أسبوعين •

ـ ربما قبل ذلك يا سيدتى المركيزة • واذا تركت البلدة هنا ، فسوف أسمح لنفسى أن أزورك لأسأل عنك وأرى الأولاد والمربية الانجليزية ، فان عندى أصدقاء يسكنون بالقرب منك • نعم لى أصدقاء فى باريس • كم أحلم بزيارة العاصمة •

والتفتت المركيزة نحو زوجها وقد ارتسمت ابتسامة بلهاء على شفتيها : **لقد قلت للآنسة بول انه يمكنها أن يطلب معاونتها اذا أرادت ••**

ـ بالتأكيد ! •• كم تألمت عندما علمت بالمصيبة التى حلت بها ، ان مدير الفندق روى لى تفاصيل الحادث المروع •

وانحنت الآنسة بول علامة الاحترام ، ثم قالت : **يا سيدى المركيز ، انه كان كل شىء بالنسبة الى • ان سيدتى المركيزة تعلم ما كان يمثله بالنسبة لى • وكم هو معز لى أن أعلم ، انه مهما حدث لى ، فانه يمكنى أن أكتب اليها ، وانها سوف تجيب على رسائلى •** وهكذا سوف تخف عزلتى • ان الحياة قاسية جدا لمن كانوا وحدهم فى العالم • هل تسمح لى سيدتى المركيزة أن أتمنى لها سفرا سعيدا ؟ وانى آمل أن تكون قد احتفظت من المصيف بتذكار جميل ، غير مشوب بأقل ندم •

ثم انحنت وانسحبت من الغرفة وهى تعرج ••

وقال المركيز فى تأثر : يا لها من سيدة مسكينة ، خاصة عاهتها هذه • ان مدير الفندق أخبرنى بأن أخاها كان يعرج أيضا •

ـ نعم ••

وأغلقت حقيبتها ثم ذهبت لتأخذ قفازها ونظارتها من فوق المدفأة • وقال الزوج :

ـ يا له من أمر غريب •• ان هذا العرج وراثى ••

ثم توقف لانتظار المصعد وقال : **هل تعرفين ريشار دى بولاى ؟** انه صديق قديم لى •• لقد كان يشكو من نفس تلك العاهة • ورغم ذلك لم تمنع تلك العاهة فتاة جميلة أن تقع فى غرامه • وتزوجها ثم انجبا طفلا •• صار أعرج مثل أبيه •• انها نقائص تسرى فى الدم ••

ودخلا فى المصعد وأغلقت الأبواب خلفهما • وقال الزوج : هل أنت متأكدة من أن فى استطاعتك السفر الآن ؟ •• انك تبدين شاحبة جدا ، وأمامنا طريق طويل •

ـ ولكنى أفضل الذهاب ••

كان طاقم الفندق جميعه ينتظر فى البهو : المدير وموظف الاستقبال ، والبواب ، والمتردوتيل • وقال لها المدير :

ـ آمل أن سيدتى المركيزة تكون قد سرت من الاقامة هنا •• وتأكدى انك سوف تستقبلين دائما بترحاب •• لقد كانت متعتنا أن نقوم بخدمتك •• فودا وداعا ••

وصعدت المركيزة الى السيارة بجانب زوجها • وجرت السيارة على الطريق المرصوف الى أن وصلت الى الطريق الرئيسى • ووراءها ابتدأت مساحات الرمل تختفى ، ومن بعده البحر ، ومن بعده التل المرتفع • ولم يبق أمامها سوى طريق مستقيم يقودها الى المنزل والى الأمان •

الى الأمان حقا ؟ ••